روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

الضباب القاتل

٢٤

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

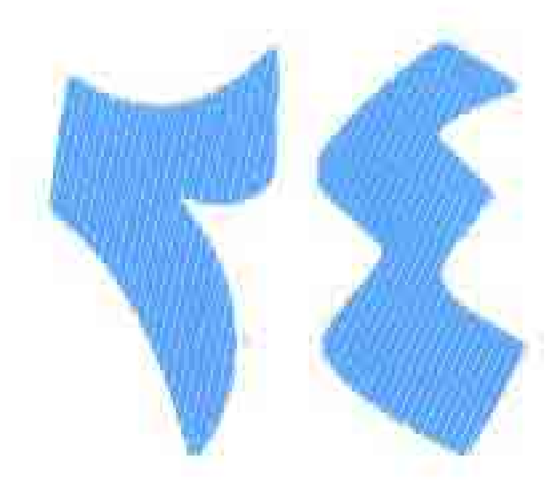
رجل المستحيل (٢٤) ● الضباب القاتل ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ●

المؤلف



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للشباب
زاخرة
بالأحداث
المثيرة



الثمن فى مصر

وما يعادل دولارًا أمريكيًا فى سائر الدول العربية والعالم

● الضباب القاتل ●

● لماذا اغتال بعضهم مستشارنا العسكرى فى (لندن) ؟

● ما سِرّ النبيل الإنجليزى الذى يحكم الضباب القاتل ؟

● تُرى .. هل يتمكّن (أدهم صبرى) من الانتصار على منظمتين خطيرتين ، وتشتيت الضباب القاتل ؟

● اقرأ التفاصيل المثيرة .. لترى كيف يعمل .. (رجل المستحيل) .



لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـــ القـــاتل ..

أشارت عقارب الساعة إلى الواحدة والنصف صباحًا ، عندما توقَّفت سيارة سوداء فاخرة ضخمة ، أمام النصب التذكارى الشهير بميدان (بيكاديللى) ، وسط العاصمة الإنجليزية (لندن) ، وأرخى سائقها ــ الذى يرتدى زيًّا رسميًّا ، يجمع بين اللونين الأحمر والأصفر ــ غطاء رأسه فوق عينيه ، واسترخى فى مقعده وكأنّ مهمته قد انتهت عند هذا الحدّ ، على حين تطلّع الراكب الذى يجلس فى المقعد الخلفى من زجاج السيارة فى قلق ، وكأنما يبحث عن شخص ما ، وعاد ينظر إلى ساعته للمرة العاشرة منذ انطلاق السيارة ، ولم يلبث أن سأل السائق فى لهجة تنمُّ عن الحَيْرة والقلق :

ــ ألم يكن موعدنا فى الواحدة والنصف هنا ؟

أجابه السائق بإيماءة من رأسه دون أن ينبس بحرف ، فعاد الرجل يتطلّع إلى ساعته ، ثم إلى الطريق فى قلق ،

ومدَّ يده يتحسَّس الحقيبة السوداء الصغيرة الموضوعة على المقعد إلى جواره ، ويبدو أن ملمسها الخشن قد بعث فى نفسه طمأنينة غريبة ، إذ تنهَّد فى ارتياح ، واستكان فى مقعده ، وقد قرر الانتظار فى هدوء مقلِّدًا سائقه ..

وفجأة انتشر فى الميدان ضباب كثيف ، أثار دهشة الرجل وسائقه ، الذى غمغم وهو يرفع غطاء رأسه عن عينيه :

عجبًا .. إنها المرة الأولى التى أرى فيها ضبابًا ينتشر فى مثل هذه السرعة .. إنه يزداد كثافة بصورة مبالغة .

حاول الرجل وسائقه مدَّ أبصارهما إلى ما خلف الضباب ، ولكن كثافته الشديدة حالت دون ذلك ، ولكن الرجل لم ييئس ، بل ألصق وجهه بالزجاج فى محاولة لاستشفاف ما وراءه ، وفجأة تراجع فى ذعر .. إذ ظهرت أمامه فجأة فُوَّهة مسدس مزوَّد بكاتم للصوت ، التصقت بزجاج النافذة ، وفى نهايتها بدت يد ترتدى قُفَّازًا أسود اللون ، تقبض على مقبض المسدس فى ثبات ..

اتسعت عينا الرجل فى رعب وذهول ، واحتضن الحقيبة السوداء ، وكأنما يحتمى بها ، وسمع سائقه يتمتم فى ذعر مماثل :

ـــ ما هذا بحقِّ السماء ؟

وفجأة تهشَّم زجاج السيارة الخلفى والأمامى فى آن واحد ، وأخفى صوت تهشُّمه شهقة مكتومة خرجت من فم الرجل ، على حين لم ينطق السائق بلفظ واحد .

* * *

دفع (أدهم صبرى) باب غرفة مكتب مدير المخابرات العامة ، بعد أن أذن له بالدخول ، وتطلَّع فى هدوء إلى المدير الذى يقف أمام مكتبه ، يطالع مجموعة من الأوراق المتناثرة ، والذى أشار إليه إشارة صامتة بالجلوس ، وعاد يطالع الأوراق فى اهتمام عدة دقائق ، ثم نحَّاها جانبًا ، والتفت إلى (أدهم) ، قائلًا فى صوت يشفّ عن الاهتمام والقلق والحَيْرة فى آن معًا :

ـــ لقد قتلوا مستشارنا العسكرى فى (لندن) يا (ن ـــ ١) .



وفجأة تهشم زجاج السيارة الخلفى والأمامى فى آن واحد ،
وأخفى صوت تشه' شهقة مكتومة خرجت . ف. ال حا

كانت عبارة تشبه القنبلة ، إذ اتسعت لها عين (أدهم صبرى) دهشة ، وهو يقول :

ــ هكذا دون مقدمات !!

قال مدير المخابرات فى قلق :

ــ ظروف مصرعه أيضًا غامضة للغاية يا (أدهم) .. لقد غادر السفارة فى الواحدة بعد منتصف الليل ، حاملًا بعض أوراق هامة وسرِّيَّة ، أو بمعنى أصح بعض تقارير كان من المفروض إرسالها إلينا على وجه السرعة ، وأخبر السفير أنه تلقَّى مكالمة تليفونية من أحد ضباط المخابرات المصرية ، يطلب منه إحضار التقارير إلى منطقة سرِّيَّة فى الواحدة والنصف ، حيث إنه من المفروض أن يحملها رجل المخابرات المصرى هذا إلى القاهرة ، فجر اليوم التالى .

لم يزد (أدهم) ، على أن قال فى صوت خافت :

ــ عجبًا !!

واستطرد مدير المخابرات قائلًا :

ــ ولمَّا كان ضابط المخابرات هذا شخصية موثوقًا بها للغاية ، وكان قد أطلع المستشار العسكرى على الكود

السرّى بالتخاطب العاجل ، فلم يمانع السفير فى اتخاذ هذه الوسيلة ، وحمل المستشار العسكرى التقارير ، وانطلق بصحبة سائق السفارة الخاصّ إلى حيث مكان اللقاء .

أصاخ (أدهم) سمعه ، وهو يحاول استخلاص معنى هذا الحدث ، على حين تابع مدير المخابرات فى ضيق :

— وفى الواحدة والنصف وخمس دقائق ، كان شرطى الدورية يسير فى طريقه بالقرب من ميدان (بيكاديللى) الشهير ، حينما وصل إلى مسامعه صوت تهشُّم زجاج ، فأسرع إلى الميدان حيث أتاه الصوت ، وفوجئ بوجود ضباب كثيف محدود حول سيارة سوداء ، وأدهشه الأمر بالطبع ، فليس من الطبيعى أن يتكثّف الضباب فى جزء واحد ، وعندما أسرع إلى هناك ، عثر على مستشارنا العسكرى وسائقه غارقين فى دمائهما ، وقد اخترقت رأس كل منهما رصاصة قاتلة .

بذل (أدهم) مجهودًا خارقًا ، للسيطرة على الغضب الهائل الذى عصف فى داخله ؛ فقد كان المستشار

العسكرى زميلًا له إبّان عمله فى القوات الخاصّة ، وكان صديقًا يستحق الإعجاب والاحترام ..

وشعر (أدهم) بحزن عميق يجتاح كيانه ، ولكنه أفاق منه فى سرعة وهو يستمع إلى مدير المخابرات ، الذى ضرب سطح مكتبه فى غيظ وتابع :

— ولقد أبلغتنا السلطات البريطانية بالطبع ، ولكنهم لم يعثروا على الحقيبة التى تحوى تقاريرنا السرِّيَّة ، ولم يجدوا تفسيرًا للأمر ، ولا لظهور ذلك الضباب القاتل .

نهض (أدهم) من مقعده وهو يقول فى غضب مكتوم :

— متى أسافر إلى (لندن) يا سيِّدى ؟

أجابه مدير المخابرات فى صرامة ، وهو يناوله ملفًا صغيرًا :

— سيُقِلُّك (حازم) إلى المطار فى الحال يا (ن — ١) .. ويمكنك مراجعة هذه الأوراق فى الطريق ، ولكن عليك أن تعيدها مع (حازم) .

وتنهّد فى عمق وهو يردف :

ــ ربّما لن تكون هناك فائدة من استعادة التقارير يا (ن ــ ١) ، ولكننا لن ندع الأمر يمرُّ بهذه البساطة .. سنردُّ الصاع صاعين .

مدّ (أدهم صبرى) يده يصافح مديره ، وهو يقول فى لهجة تفيض عزمًا وإصرارًا :

ــ اطمئن يا سيّدى .. أعِدُك أن يرتجف المسئولون عن هذا العمل القذر رعبًا ، وأن يندموا على فعلتهم هذه ..

قال مدير المخابرات ، وهو يضع راحته على كتف (أدهم) فى قوة :

ــ أعلم ذلك يا (ن ــ ١) ، وأصرُّ على تحقيقه ، وإلَّا فما أرسلت خلف هؤلاء الأوغاد (رجل المستحيل) .. وبالمناسبة ، فالرجل الذى اتصل بالمستشار العسكرى كان ينتحل اسمك .. (أدهم صبرى) .

* * *

٢ ــ الضباب ..

توقّفت السيارة التى استأجرها (أدهم) ، أمام مبنى السفارة المصرية ، فى قلب العاصمة البريطانية ، وهبط منها فى صمت ، وتبعته (منى) وهى تقول فى قلق :

ــ هل تعتقد أنه من الصحيح قدومنا هكذا ، بوجوه سافرة إلى السفارة ؟ .. هناك احتمال كبير فى أنهم يراقبونها و ....

قاطعها فى ضيق ، وهو يناول حارس السفارة بطاقته الخاصّة :

ــ فليفعلوا ما يفعلونه يا زميلتى المضطربة دائمًا ، أمّا أنا فسأسير فى الخطوات التى أراها صحيحة .

عضت (منى) على شفتيها فى غيظ ، وقالت وهى تتبعه إلى داخل السفارة :

ــ يؤسفنى أنك تعاملنى دائمًا وكأننى تابعة لك

يا سيادة المقدَّم ، وتنسَى أننى أيضًا من رجال المخابرات المصرية .

تجاهل (أدهم) قولها ، واتجه إلى سكرتير السفير المصرى ، وقال له فى برود :

ـــ لدىَّ موعد مع السيِّد السفير .. أخبره أن (أدهم صبرى) يريد رؤيته .

تألَّقت عينا السكرتير ، وهبَّ من مقعده ، مادًّا كفَّه إلى (أدهم) ليصافحه ، قائلًا فى لهجة تشفُّ عن الإعجاب :

ـــ حمدًا لله على وصولك سالمًا يا سيَّادة المقدَّم .. إننى أتمنَّى مقابلتك منذ زمن طويل ، فلقد أخبرنى سيادة السفير الكثير من مغامراتك و ....

قاطعه (أدهم) فى ضجر :

ـــ فلنؤجل هذا الحوار لما بعد .. إن لقائى مع السيِّد السفير أكثر أهميَّة .

تضرَّج وجه السكرتير بحمرة الخجل ، وكذلك (منى) .. فقد شعرت أن (أدهم) فظٌّ للغاية هذه المرَّة ،

على عكس طبيعته المهذَّبة الرقيقة ، ولكنها لم تجرؤ على اعتراض أسلوبه ، بل تبعته فى صمت واستسلام ، وهما يدلفان إلى حجرة السفير المصرى ، الذى استقبلهما فى حرارة ، وقال وهو يدعوهما للجلوس :

ـــ متى وصلتما بالسلامة إلى (لندن) ؟.. لقد أبلغنا الأمر للمخابرات رسميًّا صباح اليوم فقط .

ولدهشة (منى) ، تجاهل (أدهم) إجابة السؤال ، فى أسلوب يخلو من اللياقة ، وهو يسأل السفير :

ـــ هل استمعت بنفسك ، إلى صوت الرجل الذى انتحل شخصيتى ، يا سيادة السفير ؟

والعجيب أن السفير أيضًا تجاهل أسلوب (أدهم) الفظَّ ، وأجابه فى بساطة :

ـــ لم أستمع إليه بنفسى ، ولكن مجرَّد ذهاب المستشار العسكرى (حسن البنَّان) لمقابلته ، يحمل دلالات كثيرة ، فأنت والمقدم (حسن) كنتما زميلين متقاربين ، إن لم نقل صديقين ، ومن الصعب أن يخطئ صوتك أو أسلوبك فى الحديث .

تلاشت فظاظة (أدهم) وسط جدِّيته ، وهو يقول :

ــ إذن فالشخص الذى تحدَّث إلى المقدَّم (حسن)

ــ رحمه الله ــ استطاع تقليد صوتى وأسلوبى فى الحديث بمهارة ، واستغلَّ صداقتى به ليجتذب صديقى إلى الفخِّ الذى دبَّره ، و .... ويقتله .

نطق (أدهم) العبارة الأخيرة فى حنق وغضب ، حتى أن (منى) شعرت بالإشفاق نحوه لحظة ، ثم تخلَّت عن مشاعرها ، كما تعلَّمت من أساتذتها فى عالم المخابرات ، وأنصتت إلى السفير الذى قال :

ــ لست أشك فى انتماء أصحاب هذه الخدعة ، فالتقارير التى حصلوا عليها كانت تخصّ (الموساد) و ....

قاطعه (أدهم) فى حنق :

ــ أصبْتَ يا سيِّدى .. إنها (الموساد) .. لقد قتلوا رجلين بلا رحمة من أجل بضعة تقارير ، ولكنهم سيندمون يا سيِّدى ..

وفاضت عيناه بالحقد وصوته بالقسوة والعزم ، وهو يكمل :

ــ أقسم لك .

★ ★ ★

تأمَّلت (منى) ملامح (أدهم) الجامدة ، وهو يقود السيارة فى طريقهما إلى المنزل الخاص ، الذى استأجرته المخابرات المصرية لإقامتهما فى أثناء هذه المهمة ، واستجمعت شجاعتها لتسأله فى تردُّد :

ــ ماذا بك يا سيادة المقدَّم ؟ .. إننى لم أرك يومًا بمثل هذا التوتُّر ولا هذه العصبية ..

أجابها فى فظاظة ، وبصوت بارد :

ــ هذا شأنى أيتها النقيب .

تردَّدت دمعةٌ حائرة فى عين (منى) ، وهى تردف فى صوت خافت :

ــ ولا بمثل هذه الفظاظة .

ظلَّت ملامح (أدهم) جامدة ، ولكنه انحرف فجأة عن طريق المنزل ، وتوقَّف أمام مقهى مفتوح ، والتفت إلى (منى) ، وقال فى هدوء ، وإن فقدت نبراته برودها :

ـــ أنت على حقٍّ يا (منى) .. لقد تملّكنى الغضب حتى استولى على مشاعرى ، وهناك ....

وصمت لحظة وتنهّد فى عمق ، ثم ابتسم ابتسامة باهتة ، وقال وهو يغادر السيارة :

ـــ سنتناول مشروبًا دافئًا فى هذا المقهى ، وأقصّ عليك سبب حنقى البالغ هذه المرّة .

تأبّطت (منى) ذراعه فى بساطة إلى داخل المقهى ، واتخذا مقعدين فى صدارته ، وأدهشها أن (أدهم) خلع ساعة معصمه ، ووضعها أمامه وهو يقول فى هدوء :

ـــ هل تعلمين كيف توفى والدى يا (منى) ؟

كان سؤالًا مفاجئًا ، حتى أنها حينًا فتحت فمها لتجيب ، عجزت الكلمات عن الخروج من حلقها ، فاكتفت بهزّ رأسها علامة النفى ، فابتسم هو فى حزن ، وأمسك يدها الصغيرة بين راحتيه ، وهو يقول :

ـــ برغم طول الفترة التى عملنا فيها معًا ، إلّا أنه لم تُتحْ ظروف مناسبة للتحدُّث عن عائلتى .. ولا شك أنك

كغيرك ، تساءلت كثيرًا عن سبب كراهيتى الشديدة (للموساد) ، ومحاربتى لرجاله بهذه الشراسة والإصرار .

وصمت لحظة تأمّل خلالها زجاج ساعته ، أو خُيّل إليها ذلك ، ثم تابع فى هدوء :

ـــ لقد كان والدى (رحمه الله) من رجال الجيش .. كان مستشارًا عسكريًا فى سفارة مصر بالولايات المتحدة الأمريكية على وجه التحديد .. ولقد كان (رحمه الله) كالسيف ، لا يعرف طريقًا يحيد عن الحق ، ولو بمقدار شعرة ؛ ولهذا كان لابدّ من إقصائه ..

تطلّعت إليه (منى) فى دهشة ، على حين تابع هو فى حنق :

ـــ وبخدعة حقيرة كهذه ، تم اجتذاب والدى إلى خارج السفارة المصرية ، عام ألف وتسعمائة وستة وخمسين بعد العدوان الثلاثى بأقل من شهر واحد و ....

خفض رأسه ، وزوى ما بين عينيه ، وهو ينظر فى ساعته مستطردًا :

ـــ واغتاله عملاء (الموساد) .. قتلوه .. وكنت أبلغ من العمر خمس سنوات فقط .

سالت دمعة حزينة من عينى (منى) ، وتمنَّت لو أنها مدَّت يدها لتربِّت على كتف (أدهم) ، الذى أكمل فى شرود :

ـــ يومها أقسمت لوالدتى على الانتقام .. برغم أننى لم أكن ـــ بحكم سنوات عمرى الخمس ـــ قد استوعبت الأمر بعد .

قالت (منى) فى تفهُّم :

ـــ لهذا شعرت بالغضب العارم ، عندما قتل رجال (الموساد) مستشارنا العسكرى هنا .. أعاد إليك ذلك ذكرى مصرع والدك و ....

خُيِّل إليها أن (أدهم) لم يسمع عبارتها الأخيرة ، فقد تألَّقت عيناه بغتة ، وتعلَّقتا بساعته فى اهتمام ، حتى أنها سألته فى حيرة :

ـــ فيم تحدِّق يا سيادة المقدِّم ؟

رفع إليها رأسه فى مرح مفاجئ ، وقال :

ـــ هل تعلمين يا عزيزتى أن زجاج ساعتى من النوع العاكس كالمرآة ؟

خُيِّل إليها أنها فهمت ما يعنيه ، فرفعت رأسها تتطلَّع إلى المائدة التى تقع خلفه مباشرة ، واتسعت عيناها حينما ميَّزت حولها ثلاثة وجوه ، تحمل الملامح العبرانية ، لثلاثة رجال ضخام الجثة ، وعادت تلتفت إلى (أدهم) ، الذى تناول ساعته ، وأودعها معصمه فى هدوء ، وهو يقول ساخرًا :

ـــ إنهم يتبعوننا منذ غادرنا السفارة المصرية يا عزيزتى ، ومن المؤسف أنهم سيندمون على ذلك .

ثم نهض واستدار إلى الرجال الثلاثة فى هدوء أدهشهم ، وارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتيه ، وهو يضمّ كفَّيه أمامه ، ويقول فى لهجة واضحة التهكُّم :

ـــ مرحبًا أيها الأوغاد .. لقد انتهت المطاردة .. فإمَّا أن تخبرونى ماذا تريدون بالضبط أو أهشِّم وجوهكم ..

ما هو اختياركم يا تُرى ؟

* * *

كان من الواضح أن العمالقة الثلاثة قد احتاطوا حتى لمفاجآت (أدهم) ، أو أنهم يتوقَّعون أسلوبه هذا عن دراية كاملة ، إذ أنهم تحرّكوا فجأة فى سرعة مبادرة رائعة ، فقذف أولهم مشروبه فى وجه (أدهم) ، وقلب الثانى المائدة عليه ، وأسرعت يد الثالث نحو مسدسه ، ولكن ....

إذا كان الثلاثة يمتلكون سرعة المبادرة ، فـ (أدهم) هو الملك فى سرعة الاستجابة .. وإذا كانوا ثلاثة فهو واحد يحمل لقب (رجل المستحيل) ...

لقد تفادى المشروب بحركة بارعة إلى اليسار ، وتلقَّى المائدة بركلة قويَّة ، أعادتها إلى صاحبها ، ثم عبرها بقفزة لم تدهش الرجال الثلاثة وحدهم ، بل روَّاد المقهى وصاحبه ، وكل السائرين فى الطريق المارّ به ، إذ جاءت بارعة مرنة رشيقة ، إلى حدٍّ يفوق ما تصطنعه السينما الخيالية ، دار خلالها حول نفسه دورة رأسية ، وحطَّم أنف



كان من الواضح أن العمالقة الثلاثة قد احتاطوا حتى لمفاجآت (أدهم) ، أو أنهم يتوقعون أسلوبه هذا عن دراية كاملة ..

أول الرجال بركلة كالقنبلة ، وهشَّم أسنان الثانى بلكمة ساحقة ، وانتزع مسدس الثالث من يده بخفَّة مذهلة ..

قام (أدهم صبرى) فى جزء من الثانية ، بعمل يحتاج إتمامه إلى أربعة أو خمسة رجال محترفين ، حتى أنه حينما تحرَّكت (منى) لمعاونته ، كان قد هشَّم فكَّ الرجل صاحب المسدس ، بلكمتين متتاليتين كمدفع رشاش ، وجذب أحد الرجلين الآخرين من شعره ، وحطَّم برأسه ضلوع الأخير ، ثم وقف ينفض ثيابه فى هدوء ، وكأنما كان يقوم بعمل روتينى ، وهو يقول ساخرًا :

ـ مجرَّد درس بسيط فى البداية أيها الأوغاد .

وفجأة توقَّفت سيارة من سيارات الشرطة البريطانية ، ذات اللونين الأسود والأبيض أمام المقهى ، وهبط منها ضابط وجنديان .. صوَّب الجنديان مسدسيهما إلى (أدهم) وزميلته ، على حين سأل الضابط فى هدوء :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء وبساطة :

ـ مجرَّد شجار أيها الضابط ، وروَّاد المقهى يشهدون بأننى لم أكن البادئ و ....

وفجأة بتر (أدهم) عبارته ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة أدهشت (منى) ، على حين قال الضابط :

ـ ستصحبنا إلى مركز الشرطة يا سيِّدى ، فالشجار ممنوع مهما كانت الأسباب .

قال (أدهم) فى هدوء ، وهو يبتسم ابتسامة غامضة :

ـ نعم أيها الضابط .. سنصحبك .. فهذا هو طريقنا .

* * *

انطلقت سيارة الشرطة تعبر شوارع (لندن) فى سرعة متوسطة ، وبداخلها (أدهم) و (منى) ورجال الشرطة الثلاثة .. كان رجلان يجلسان فى المقعد الأمامى ، وبطلانا مع الشرطى الثالث فى المقعد الخلفى ، حين زفرت (منى) فى ضيق ، وقالت غاضبة :

ـ لست أفهم الإجراءات القضائية فى (إنجلترا) .. كيف تصطحبوننا معكم وتتركون الرجال الثلاثة حتى دون حراسة ؟

ابتسم الضابط الإنجليزى فى هدوء دون أن يجيبها ، على حين اتخذت السيارة طريقها إلى خارج (لندن) ، و (أدهم) مسترخ فى هدوء ، وكأنما الأمر لا يعنيه ، فعادت (منى) تقول فى ضيق :

ـ إلى أين تأخذنا أيها الضابط ؟

وفجأة استدار الشُرطىّ الذى يجلس فى المقعد الأمامى ، إلى جوار ذلك الذى يقود السيارة ، وصوَّب مسدسًا ضخمًا إلى (أدهم) و (منى) ، وكذلك فعل الشرطى الذى يجلس إلى جوارهما على المقعد الخلفى ، فشهقت (منى) فى فزع وصاحت :

ـ أنتم مزيَّفون !!

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـ بالطبع يا عزيزتى .. كان ينبغى أن تلاحظى ذلك ،

حينما لم يخبرنا الضابط بحقوقنا القانونية فور وصوله ، كما ينص القانون الإنجليزى ، واكتفى بسؤالنا عمَّا حدث .

قطَّب الضابط المزيَّف حاجبيه ، وقال :

ـ أنت مثقف للغاية كما يقولون عنك يا مستر (صبرى) .. ولكن لِمَ صعدت إلى السيارة ، ما دمت قد عرفت منذ البداية أننا مزيَّفون كما تدَّعى ؟

ضحك (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :

ـ لقد أخبرتك بذلك مسبَقًا أيها الوغد .. هذا هو طريقنا ، فأنتم تقودوننا الآن إلى الشخص المتسبِّب فى مصرع صديقى المستشار العسكرىّ ، وهذا كل ما أريده .

ابتسم الضابط المزيَّف فى خبث ، وقال :

ـ فليكن ما تريد يا مستر (صبرى) .. لقد أعددنا لك قبرًا رائعًا .. وسيسعد اللورد (لويد) أن يضعك فيه بنفسه .

* * *

٣ ـ الـلـــورد ..

استمرت السيارة فى طريقها خارج (لندن) ، مخترقة الريف الإنجليزى الجميل ، حتى وصلت إلى طريق فرعى ممهَّد ، وضعت أمامه لافتة بالإنجليزية تقول : « طريق خاص ـ ممنوع الدخول لغير الزوَّار » ، وانحرفت السيارة إلى الطريق الجانبى ، وشقَّت طريقها وسط صفَّين من الأشجار اليانعة ، حتى لاح من بعيد قصر ضخم مهيب ، فقال (أدهم) ساخرًا :

ـ هل وصلنا إلى قصر سيِّدك أيها الكلب الوفىّ ؟

زمجر الضابط المزيَّف فى غضب ، ولوَّح بمسدسه فى وجه (أدهم) صائحًا :

ـ إذا أردت أن تخطو داخل هذا القصر حيًّا ، فأطبق فمك جيِّدًا أيها الشيطان و ....

ولم يتم عبارته .. فقد انطلقت قبضة (أدهم) كالقنبلة ، تقطع شفتيه ، وتحطِّم أسنانه ، ثم انتزع مسدسه



فى نفس اللحظة التى تحرّكت فيها قبضته الأخرى ، فأبعدت مسدس الرجل الآخر ، الذى انطلقت منه رصاصة ، اخترقت سقف السيارة ، قبل أن يكسر (أدهم) أنفه بلكمة ساحقة مباغتة ..

أصيب بالفزع الشُرطىّ المزيَّف الذى يقود السيارة ، وصاح وهو يشاهد الدماء التى اندفعت من أنف وفم زميليه :

ـــ إننى أستسلم .. لا تؤذنى ، أرجوك .

غرس (أدهم) المسدس الذى انتزعه من الضابط المزيَّف فى رقبة السائق ، وقال فى لهجة آمرة :

ـــ توقَّف هنا .

أوقف السائق السيارة ، وهبط منها بناء على أمر (أدهم) ، الذى تبعه هو و (منى) ، وسأله فى هدوء :

ـــ إلى من كنتم تحملوننا أيها الوغد ؟

أجابه الرجل مرتجفًا :

ـــ إلى اللورد (جيمس لويد) يا سيِّدى .. صاحب هذا القصر وهذه الضيعة .

زوَى (أدهم) ما بين حاجبيه ، وهو يبحث فى ذاكرته عن هذا الاسم ، ثم عاد يسأل الرجل :

ـــ هل أخبركم لِمَ يريد إحضارى ؟

هزَّ الرجل رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ لا يا سيِّدى .. أقسم لك .. لقد طلبت منه السيِّدة إحضارك و ....

قاطعه (أدهم) متسائلًا :

ـــ السيِّدة ؟.. أية سيِّدة ؟

صاح الرجل فى توسُّل :

ـــ لست أدرى يا سيِّدى .. كل ما أعلمه أنها رائعة الجمال ، بالغة الرِّقَّة ، تنزل فى ضيافة سيِّدى اللورد منذ أسبوع .

غمغم (أدهم) فى سخرية :

ـــ رائعة الجمال بالغة الرقة !!

ثم التفت إلى (منى) ، وقال فى مرح :

— إنها نفس القصة القديمة يا عزيزتى .. إنها صديقتنا الشرسة .. الأفعى الجميلة (سونيا جراهام) .

* * *

صبَّت (سونيا جراهام) لنفسها كأسًا من الخمر ، رفعتها فى كفِّها الصغيرة نحو رجل فى الخمسين من عمره ، وسيم أنيق للغاية ، كعادة أبناء الطبقة الراقية الإنجليزية ، له ملامح متناسقة ، ووجه حليق ، يزينه شعر رمادى ناعم ، ويمتلك قوامًا رياضيًا رشيقًا ، يحسده عليه محترفو الرياضة ، ويرتدى (روبًا) منزليًا ، أزرق اللون ، من (الساتان) ، وتحته كوفية حمراء ، لفَّها حول رقبته ، فمنحته مظهرًا أنيقًا وسيمًا جذَّابًا ، لم تخف (سونيا) إعجابها به وهى تقول :

— أصدُقك القول يا عزيزى اللورد ، إننى لم أقابل فى حياتى الحافلة من هو بمثل وسامتك وجاذبيتك .

ثم أردفت وهى تشرد بفكرها :

— فيما عدا (أدهم صبرى) بالطبع .

شعر اللورد بالغيرة تنهش قلبه ، ولكنه كتم مشاعره داخل هذا الإطار البارد ، الذى اشتهر به نبلاء الإنجليز ،

ورفع كوبه المملوء بعصير البرتقال إلى فمه ، فرشف منه رشفة ، وقال فى هدوء :

— عجبًا !! .. كنت أظن أنك تكرهين (أدهم صبرى) هذا ، إلى درجة أن تطلبى منِّى قتله .

سرحت (سونيا) ببصرها طويلًا ، قبل أن تقول :

— هل تعلم أنك طرقت بابًا محيِّرًا فى عقلى يا عزيزى اللورد ؟ . إننى حقًّا كثيرًا ما أتساءل عن حقيقة مشاعرى نحو هذا الشيطان المصرى .

ثم ضحكت فى خلاعة وأردفت :

— إن قلب المرأة محيِّر ، حتى بالنسبة لها نفسها يا لورد (لويد) .. فكثيرًا ما يختلط فيه الحب والكراهية ، فلو لم يكن (أدهم صبرى) ضابطًا فى المخابرات المصرية ، لكان الرجل المثالى الذى أبحث عنه طيلة عمرى .. فهو يفوقنى فى كل شىء .. فى الجرأة والشجاعة والذكاء والخبرة والمران .. كل شىء .. إنه مثال الرجل الكامل ، وربما كان هذا هو الذى يثير كراهيتى تجاهه ، فهو يشعرنى بفشل دائمًا .



قالت (منى) مداعبة ، وهى تختفى مع (أدهم) خلف أكمة من الأشجار المتشابكة ، وتراقب القصر بدورها :

تسلّلت بعض نبرات الغضب إلى صوت اللورد (لويد) على الرغم منه ، وهو يقول :

ـ لا ريب أن هناك وسيلة واحدة لإنهاء حيرتك يا عزيزتى (سونيا) .

وضرب الكوب بيده فى قوة ، فأوقعه أرضًا وهو يردف فى قسوة :

ـ أن أشطب اسم (أدهم صبرى) هذا من سجل الأحياء .

* * *

قالت (منى) مداعبة ، وهى تختفى مع (أدهم) خلف أكمة من الأشجار المتشابكة ، وتراقب القصر بدورها :

ـ ألم يكن من النذالة ضربك للسائق ، بعد أن حصلت منه على كل ما تريد من المعلومات ؟

أجابها فى سخرية ، وهو يضع فى ذهنه الخطة المناسبة لدخول القصر :

— هل كنت تفضّلين أن أشكره ، وأتركه يذهب ليخبر سيِّده بقدومنا ؟

ضحكت وهو تقول :

— كانوا سيعدُّون العدَّة لاستقبالنا على الأقل .

ابتسم دون أن يردّ على عبارتها ، وأخذ يدرس المكان جيِّدًا .. كان القصر الضخم يتوسط الضيعة الشاسعة ، التى يمتلكها اللورد (جيمس لويد) ، وليس له من مدخل سوى هذا الطريق الجانبى الممهَّد ، الذى ينتهى ببوابة حديدية ضخمة ، يقف أمامها ثلاثة من رجال الحرس الخاص ، مسلَّحين بمسدساتهم ، وداخل أسوار القصر تنتشر كلاب الحراسة المتوحشة ، التى يطلقونها بمجرد غياب الشمس إلى جوار خمسة عشر رجلًا مسلَّحًا ، وعدد لا حصر له من الخدم والرُّعاة ..

همس (أدهم) إلى (منى) :

— الأمر محيِّر حقًّا .. فلو أننا انتظرنا الغروب ، ستكون علينا مواجهة الكلاب المتوحشة ، وإذا حاولنا الدخول الآن فى وضح النهار ، فستستقبلنا رصاصات الحرس .

ولم تلبث ملامحه أن تألَّقت وهو يغمغم :

— إلا إذا .....

ابتسمت (منى) فى ثقة وقالت :

— حسنًا .. أخبرنى بالخطَّة الرائعة التى تفتَّق عنها ذهنك .

* * *

قالت (سونيا) فى برود يفوق البرود الإنجليزى الشهير :

— إنك لن تمس (أدهم صبرى) يا عزيزى اللورد ، فهو لى ولن يقتله غيرى .

نهض اللورد (لويد) فى غضب ، وقال وهو يشيح بوجهه عنها :

— لن أسمح لأحد بإملاء أوامره علىَّ يا (سونيا) ، حتى ولو كانت سيِّدة رائعة الجمال مثلك .

أودعت (سونيا) جاذبيتها فى ابتسامة عريضة ، وقالت فى دلال :

ــ أتبخل علىَّ بهذه الخدمة يا عزيزى ؟.

ندت من فمه ضحكة تهكُّمية قصيرة ، وقال :

ــ خدمة ؟! .. إنكم دائمًا تلعبون بالألفاظ يا (سونيا) .. لقد تلقَّيتم من دول العالم كمًّا هائلًا من المساعدات ، تحت اسم خدمات بسيطة ، ولا يمكنكم إنكار ما فعلته (بريطانيا) من أجلكم .. لقد احتضنا كم بعد هروبكم من (ألمانيا) فى الحرب العالمية الثانية ، فرارًا من (أدولف هتلر) ، الذى قضى على الجزء الأكبر منكم حرقًا وقمعًا ، ثم كان وعد وزير خارجيتنا (بلفور) ، الذى منحكم وطنًا قوميًّا فى ....

قاطعته فى غضب واضح :

ــ كفَى أيها اللورد .

ثم أسرعت ترتدى قناع الرِّقَّة والخنوع ، وهى تقول :

ــ ليس من النبل أو الشهامة أن تعايرونا بذلك .

ابتسم فى سخرية ، وقال :

ــ النُّبل والشهامة ؟! .. يا لها من عبارات تردِّدونها ، دون أن تلتزموا بها !!

وفى تلك اللحظة ارتفع صوت الهاتف الداخلى ، فرفع اللورد مسماعه ووضعه على أذنه سائلًا :

ــ من المتحدِّث ؟

أجابه صوت أحد حراس البوابة قائلًا :

ــ يبدو أنه أحد العبرانيِّين ، الذين يعملون داخل القصر يا سيدى اللورد .. لقد عاد فى سيارة الشرطة المزيَّفة ومعه فتاة شرقية ، ويقول إنه أحضرها بعد أن نجح المدعو (أدهم صبرى) فى قتل زميليه والفرار .

صاح اللورد فى غضب :

ــ هذا الغبىّ ..

ولم يلبث أن استرد بروده الوراثى ، وأردف :

ــ حسنًا .. دَعْه يدخل إلى هنا على الفور ، ومعه الفتاة .

وضع حارس البوابة سماعة الهاتف الداخلى منهيًا الاتصال ، ثم عاد ينظر إلى الرجل الذى يرتدى ثياب الشرطة أمام مقعد القيادة ، والفتاة المقيَّدة إلى جواره ، وقال فى شك :

ـ عجبًا !! إن وجهك لا يبدو لى مألوفًا يا صديقى ، فيما عدا أنفك المائل .

هزَّ الرجل كتفيه ، وقال :

ـ ربما لأننا لم نتقابل كثيرًا يا رجل .

أومأ الحارس برأسه موافقًا ، ثم أشار لزميليه بفتح البوابة ، وانطلقت سيارة الشرطة المزيَّفة نحو القصر ، وفى داخلها ضحكت (منى) قائلة :

ـ يا لجرأتك .. ماذا لو كان الحراس يعرفون الرجال الثلاثة جيِّدًا ؟ أو على الأقل يعرفون صورتك ؟!

ابتسم فى سخرية ، ومدَّ يده ينتزع الأنف المستعار ، وهو يقول :

ـ وماذا أفعل يا عزيزتى ؟ لَمْ أكن أملك فى جيبى سوى هذا الأنف المطَّاطى .

ضحكت وهى تحل وثاقها ، قائلة :

ـ وماذا كنت ستفعل ، لو أنهم كشفوا حقيقتك ؟

هزَّ كتفيه فى استهتار ، وهو يوقف السيارة أمام باب القصر قائلًا :

ـ كنت سأضطر لتحطيم رءوسهم يا عزيزتى .. لسوء حظهم .

* * *



٤ ــ الأفعى ..

أشار (أدهم) فى غطرسة إلى أحد خدم القصر ، وقال فى لهجة آمرة إنجليزية تمامًا :

ــ قدنا إلى حجرة اللورد (لويد) يا فتى .. وأسرع فأنا فى عجلة من أمرى .

قادهما الخادم فى امتثال ، دون أن يهتم بسؤالهما عمن يكونان ، فما دام حراس البوابة قد سمحوا لهما بالدخول ، فهما ليسا أعداء ، وهذا كل ما يعنيه .. ولم يكد يصل إلى باب حجرة المعيشة ، حتى استدار وانحنى أمام (أدهم) ، قائلًا فى احترام بارد للغاية :

ــ هل يتفضَّل السيِّد بإعطائى اسمه ، كى أخبر سيِّدى اللورد و .... ؟

قاطعه (أدهم) فى سخرية ، وهو يزيحه عن الطريق قائلًا :



ـــ دَعْكَ من هذا ، سأتولَّى عنك المهمة .

تراجع الخادم الإنجليزى فى ذعر ، وهو يعجب لذلك الأسلوب غير المهذَّب ، الذى يلجأ إليه سيِّد يتحدَّث الإنجليزية فى طلاقة ، وازدادت دهشته حين أخرج (أدهم) مسدسه ، ودفع باب الحجرة بقدمه ، ثم قفز إلى الداخل وهو يقول فى سخرية :

ـــ مرحبًا يا سيِّدى اللورد .. يؤسفنى أن يتم تعارفنا هكذا .

وفجأة انطلقت من أحد أركان الحجرة رصاصة صائبة ، أطاحت بمسدس (أدهم) ، وسمع هو و (منى) صوت (سونيا) الساحر ، وهى تقول :

ـــ كيف كنت تحب أن يتم تعارفك وصديقى اللورد يا مستر (أدهم) ؟

* * *

شعرت (منى) بالغضب يختلط بالخوف فى نفسها ، وهى تتعلَّق بذراع (أدهم) ، الذى ابتسم فى سخرية وقال :

ـــ يا لها من مفاجأة !! كيف حالك يا عزيزتى (سونيا) ؟

ابتسمت (سونيا) فى سخرية ، على حين تقدَّم اللورد بضع خطوات ، وتأمَّل وجه (أدهم) ، ثم قال فى هدوء :

ـــ إنك تشبه صورتك تمامًا ، كما أرى يا مستر (أدهم) .

قال (أدهم) فى سخرية :

ـــ عجبًا !! كنت أظن أنه من النادر أن يشبه الإنسان صورته .

ابتسمت (سونيا) فى ظفر ، وهى تقول :

ـــ هل فاجأك أننى كشفت أمرك أيها الشيطان ؟

ابتسم (أدهم) ابتسامة عذبة ، وهو يقول :

ـــ وجودك لا يفاجئنى مطلقًا يا عزيزتى (سونيا) .

تساءلت (سونيا) فيما بينها وبين نفسها فى دهشة ، عن السَّبب الذى يمنعها من إطلاق النار على رأس (أدهم) ، وهو فى متناول يدها الآن .. بل تساءلت : لِمَ

أطلقت النار على مسدسه فقط فى البداية ؟.. واعترفت لنفسها أنها معجبة بالشيطان المصرى فعلًا ، وضايقها هذا الاعتراف ، فقد أعاد إليها مشاعر أنثوية ، حرَصت منذ زمن طويل على خنقها داخلها ، فعادت تضم حاجبيها فى صرامة ، وهى تستمع إلى اللورد (لويد) ، وهو يقول :

ـ يبدو أن عزيزتنا (سونيا جراهام) تعرفك جيِّدًا يا مستر (أدهم) .. فبمجرد أن أخبرتها بما قاله حارس البوابة ، حتى فهمت فى الحال أنها إحدى خدعك ، وانتظرتك فى هذا الركن .

ضحك (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـ إن كلينا يعرف الآخر جيِّدًا .

ثم توجَّه إلى (لويد) فجأة ، وسأله فى جدِّية :

ـ ولكننى لا أعرفك أيها اللورد ، وتدهشنى أساليبك ، فكيف يلجأ نبيل ثرى مثلك إلى تلك الوسائل القذرة ، من قتل وغيره .

ابتسم اللورد (لويد) فى هدوء ، وكذلك (سونيا) ، وقال الأول :

ـ تقصد لِمَ انضممت إلى (الموساد) يا مستر (أدهم) .. أليس كذلك ؟

وتنهَّد وهو يستطرد ، وكأنما يلقى درسًا إلى طفل صغير :

ـ إنه ليس أمرًا حديثًا يا مستر (صبرى) .. إن عملى فى (الموساد) يرجع إلى ثلاثين عامًا مضت ، وبالتحديد إلى عام ألف وتسعمائة وخمسة وخمسين .

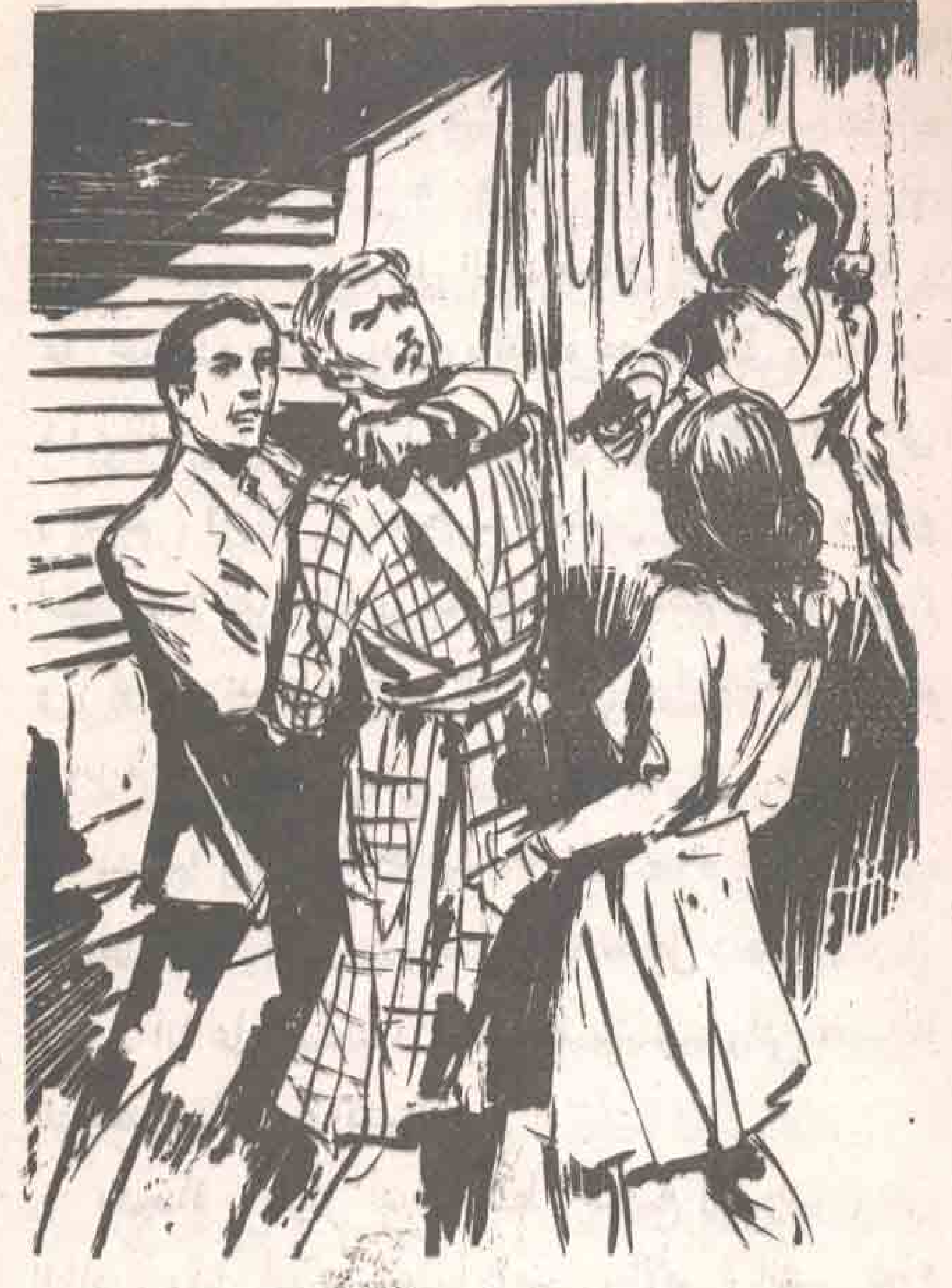
قالت (سونيا) وهى ترتكن إلى مكتب (لويد) ، وتشعل سيجارتها الرفيعة :

ـ إن مستر (لويد) من أول من عملوا لحساب (الموساد) ، حينما كان شابًا فى العشرين يهوَى المغامرة .. إنه صاحب انتصارات رائعة .

ابتسم اللورد فى غرور ، وقال :

ـ شكرًا يا عزيزتى (سونيا) .

ثم تأمَّل (منى) فى هدوء ، وقال :



ثم جذب (لويد) من (روبه) المنزلى ، وأحاط عنقه بساعده الفولاذية وهو يضحك ساخرًا ..

ــ معذرة يا شرقيتى الحسناء .. لقد شغلنى الحديث مع مستر (أدهم) عن الترحيب بك .. هل أنت أيضًا من أفراد المخابرات المصرية ؟

قالت (منى) فى كبرياء :

ــ يشرِّفنى ذلك أيها الخائن .

ضحك اللورد ، وقال :

ــ عجبًا !! إنك أكثر وقاحة من عزيزتنا (سونيا) .

كان اللورد (لويد) فى خلال حديثه وحركته الدائبة ، قد اقترب كثيرًا من (أدهم) ، ولم يكن يقدِّر خطورة الوقوف فى متناول يد شيطان مصرى مثله ، ولكنه فهم ذلك بلا شك بعد أن تحرَّك (أدهم) بغتة وفى سرعة مذهلة ، فمال بجسده إلى الأمام ، وتباعدت قدماه فى خطوة واسعة ، ثم جذب (لويد) من (روبه) المنزلى ، وأحاط عنقه بساعده الفولاذية ، وهو يضحك ساخرًا ويقول :

ــ ما رأيك يا عزيزتى (سونيا) ؟.. أتضحين بأكبر

عميل لكم فى أوربا بأكملها ؟ أم تتفضَّلين بتسليمى سلاحك ؟

* * *

ابتسمت (منى) على الرغم منها فى إعجاب وشماتة ، على حين شعرت (سونيا) بالدماء تتصاعد إلى رأسها من شدة الغضب ، وبندم شديد ، على أنها لم تطلق النار على (أدهم) فورًا ، كما نصحت الكثيرين من قبل ، وإن لم تخفض سلاحها ، الذى صوَّبته نحو (أدهم) و (منى) و (لويد) ضمنًا ، حتى أن (منى) عادت تسألها فى سخرية :

ــ إننا لم نسمع إجابتك بعد يا (سونيا) .

صاحت (سونيا) وقد أحنقها تدخُّل (منى) :

ــ أنا على استعداد للتضحية برئيس دولتى نفسه ، للتخلُّص منك أيها الشيطان .

وفجأة ، وقبل أن تضغط أصابع (سونيا) على الزناد ، وقبل أن تستوعب (منى) الأمر ، انثنى ذراع

اللورد (لويد) ، واندفع كوعه فى جانب (أدهم) بكل ما يمتلك جسده الرياضى من قوة ، ثم انثنى اللورد نفسه إلى الأمام ، حاملًا (أدهم) فوق ظهره ، وألقى بنفسه فى حركة لولبية ماهرة ، بحيث سقط فوق (أدهم) على الأرض ، فى وضع يصعب معه تحرُّكه ..

كانت مفاجأة لـ (أدهم) نفسه ، فلم يتوقَّع مطلقًا أن يكون النبيل الإنجليزى المرفَّه ، بهذه القوة والرشاقة والمرونة ، ولا أنه يمتلك تلك المقدرة الفذَّة على الدفاع عن النفس ، وخاصة فى مثل هذه السن .. ولكن طبيعة (أدهم) من المرونة بحيث يمتص جسده المفاجآت فى سرعة مذهلة .. ولذا فقد دفع اللورد من فوقه فى قوة ، نادرًا ما يمتلكها بشر ، وقفز واقفًا على قدميه ، فى نفس اللحظة التى صاحت فيها (سونيا) :

ــ قِفْ وإلَّا حطَّمت رأسك يا (أدهم) .

ولكن ساق (أدهم) كانت أسرع من عبارتها ، إذ تحرَّكت فجأة فى زاوية قائمة ، فركلت مسدسها ،

وطوّحت به بعيدًا ، دون أن تجد (سونيا) الوقت الكافى للدهشة ، فقد وجدت (أدهم) أمامها يقول فى سخرية هادئة :

ـــ ماذا بك يا عزيزتى (سونيا) .. هل هناك ما يدهشك ؟

ولكن (سونيا) أيضًا ليست فتاة عادية ، بل هى ضابطة مخابرات ، تلقَّت تدريبًا يفوق العادة ، ولم تحاول السكوت كما قد تفعل فتاة أخرى فى موضعها ، بل ركلت ساق (أدهم) فجأة بحافة حذائها ، وطوّحت بقبضتها فى وجهه فى جسارة تستحق الإعجاب ، ولشدة دهشتها شعرت بركلتها تضيع فى الهواء ، حينما باعد (أدهم) ساقيه فى بساطة ، واستقرت قبضتها الصغيرة فى راحته ، وهو يضحك قائلًا :

ـــ ليس بعد يا عزيزتى (سونيا) ، إنك تحتاجين إلى فترة أطول من التدريب لتهزمى (أدهم صبرى) .

صرخت (سونيا) فى غضب أعمى :

ـــ يا لك من مغرور !!

وفجأة خُيِّل إلى (أدهم) ، أن صرخة (سونيا) ازدوجت فجأة ، أو أن صرخة أخرى تداخلت معها فى مزيج عجيب ، فإحداهما تعبِّر عن غضب بالغ ، والأخرى عن ذعر شديد ، فاستدار إلى حيث أتته الصرخة الثانية ، والتقى حاجباه فى غضب وتحدٍّ ، حينما وقع بصره على زميلته (منى) ، بين يدى خادم ضخم من خدم قصر اللورد ، على حين يصوِّب إليه اللورد نفسه وثلاثة من رجاله أسلحتهم ، و (لويد) يقول :

ـــ ليست (سونيا) وحدها المدرَّبة يا مستر (أدهم) .

وفوجئ (أدهم) بـ (سونيا) تتعلَّق فى رقبته من الخلف ، وهى تصرخ فى وحشية :

ـــ سأقتلك أيها الشيطان المصرى .. سأقتلك بيدى .

* * *

٥ ــ الصِّــراع ..

نسِيَت (سونيا) فى غمرة حماسها وغضبها ، الفارق الطبيعى بينها وبين (أدهم صبرى) ، من حيث التفوُّق العضلىّ ، وسرعتى المبادرة والاستجابة ، ولم تتصوَّر لحظة حينما طوَّقت عنق (أدهم) بذراعيها ، أنها قد منحته المخرج الذى يبحث عنه من مأزقه هذا ، فقد مدَّ يده فى سرعة مذهلة خلف ظهره ، فأمسك بياقة فستانها من مؤخرة عنقها ، وشعرت هى بجسدها يرتفع فى الهواء كالريشة ، بفعل ذراعه الفولاذية ، وأفلتت ذراعاها من عنقه على الرغم منها ، وهى تندفع فى الهواء مذهولة ، لترتطم بالرجال الثلاثة المسلحين ، الذين تملَّكهم الذهول بدورهم ، من تلك السرعة القتالية المدهشة ، وسقط الرجال الثلاثة أرضًا ، وصاح اللورد :

ــ سأطلق النار بلا رحـ ....



وبما يخالف اللياقة ، أن (أدهم صبرى) يهوى مقاطعة خصومه باستمرار ، فقد قفز إلى اليمين ، وتناول مسدس (سونيا) ، الذى سبق له أن أطاح به ، متفاديًا فى الوقت نفسه طلقة غاضبة ، انطلقت من مسدس اللورد ، ثم أطلق رصاصة رائعة ، حطّمت ماسورة مسدس (لويد) ، وأطاحت به بعيدًا ، وألقى بالمسدس نفسه فى قوّة ، فارتطم بوجه اللورد ، وأصابه بجرح عميق لم يلتفت إليه (أدهم) ، إذ قفز فى هذه اللحظة نحو الخادم ، الذى يمسك (منى) ، فناوله لكمة مُحْكَمة ، جعلت أنفه المستقيم يفقد استقامته ، ويميل إلى الانحناء ، وسقط الرجل كالحجر ، فأفلتت (منى) التى طوّحت ساقها فورَ إفلاتها ، لتركل مسدس أحد الرجال الثلاثة ، الذين سقطت فوقهم (سونيا) ، ثم دارت على عقبيها ، لتركل (سونيا) نفسها ركلة أودعتها حنقها وغيظها ، فى نفس الوقت الذى أطلق فيه (أدهم) قبضته ، محطمًا فكّ أحد الرجلين الآخرين ، وأعقبها بقبضته الأخرى ، مهشّمة أنف الرجل الأخير .

صاحت (منى) فى جذل :

ـ لقد انتصرنا معًا .

قال (أدهم) ، وهو يجذبها من معصمها فى قوّة :

ـ نعم يا زميلتى العزيزة ، سنحتفل بهذا النصر فيما بعد ، أمّا الآن فسنحاول مغادرة هذا القصر .

صاحت وهى تتبعه مرغمة :

ـ ولكننا بعد الغروب ، ولقد أطلقوا الكلاب المتوحشة .

ابتعد الخدم عن طريقهما فى ذعر ، بعد أن شاهدوا ما فعله (أدهم) بسيّدهم ، برغم أن كليهما لا يحمل سلاحًا .. ولم يكد (أدهم) يفتح باب القصر ، حتى صاحت (منى) :

ـ يا إلهى !! لقد أخذوا سيارتنا .

قال (أدهم) فى سخرية :

ـ إنها اللياقة الإنجليزية يا عزيزتى ، فما أن يغادر ضيوف اللورد سياراتهم ، حتى يقودها الخدم إلى مكان الانتظار .

صاحت (منى) فى جزع :

ـــ ماذا نفعل إذن ؟

ابتسم فى سخرية وهو يقول :

ـــ ما رأيك أن نطلب منهم إحضارها ؟

وصل إلى مسامعهما صوت (سونيا) تصرخ فى جنون :

ـــ اقبضوا على هذا الشيطان المصرى .. أطلقوا عليه النار .

جذب (أدهم) (منى) من معصمها ، وهو يقول :

ـــ أيهما تفضلين يا عزيزتى .. الكلاب المتوحشة أم (سونيا جراهام) ؟.

عدت (منى) خلفه ، وهى تقول :

ـــ أعتقد أن الكلاب المتوحشة أكثر رحمة .

وبرغم قولها ، إلَّا أن جسدها ارتعد رعبًا ، حينما تعالى صوت نباح كلاب (الدوبرمان) المتوحشة ، وهى تعدو وراءهما فى ضيعة اللورد (لويد) .

* * *

كان مزيجًا عجيبًا مرعبًا ، ذلك الذى يواجهه (أدهم) و (منى) .. مزيجًا كفيلًا بتحطيم أعصاب أقوى الرجال ، وأشدهم شجاعة وبأسًا .. الظلام الشديد .. صراخ (سونيا) الغاضب .. نباح الكلاب المتوحشة وعدوها خلفهما .. الرصاصات التى أطلقها رجال اللورد فى الهواء لتنبيه بعضهم البعض .. كان مزيجًا يوحى برائحة الموت ، وذكرى القبور حتى أن (منى) قالت فى استسلام :

ـــ يبدو أنها النهاية .. نهاية مؤسفة لا يعوِّضها إلا وجودنا معًا .

قال (أدهم) فى قلق :

ـــ لا تبدِّدى أنفاسك فى الحديث يا (منى) .. فنحن بحاجة إلى الجرى أسرع من الكلاب .

قالت بصوت يقتله اللهاث :

ـــ إلى أين ؟ إننى لا أرى أمامى سوى الظلام .

كان نباح الكلاب يقترب ، وهو يقول :



لم يفارق الهدوء (أدهم) لحظة واحدة ، وهو يستدير
فى سرعة مذهلة ، ويطلق رصاصة مسدَّدة بإحكام

ـــ لو واصلنا عَدْوَنا فى هذا الاتجاه ، فسنصل إلى أقرب نقاط سور القصر .

تذكَّرت (منى) فجأة مسدسها الصغير الذى تخفيه فى ردائها ، فصاحت :

ـــ لدىَّ مسدس به خمس رصاصات .

توقَّف (أدهم) فجأة ، وقال :

ـــ يا لها من مفاجأة سارة !! ناولينى إيَّاه .

أخرجت (منى) المسدس ، وألقته إليه بلا تردُّد أو تفكير ، فى نفس اللحظة التى قفز فيها كلب (دوبرمان) قوى نحوهما ، والزَّبد يسيل من شدقيه ..

لم يفارق الهدوء (أدهم) لحظة واحدة ، وهو يستدير فى سرعة مذهلة ، ويطلق رصاصة مسدَّدة بإحكام ، لتستقر بين عينى الكلب الذى عوى فى اختناق ، ولم تتم قفزته فسقط جثة هامدة ، وابتسم (أدهم) ، وقال وهو يصوِّب مسدسه فى هدوء إلى الكلاب التى تتبعه :

ـــ تُرى .. هل تمتلك الكلاب نفس غريزة البقاء التى يمتاز بها الآدميُّون ؟

وأعقب قوله بأن أطلق رصاصتين ، حطمتا رأس كلبين من وسط الكلاب العشرة التى تتبعهم .. وانتصرت غريزة حب البقاء بالفعل ، أو هى غريزة الشعور بالخطر ، فقد توقَّفت الكلاب فى تردُّد ، وبدأت تزوم فى قلق ، فقد أدركت أن خصمها بالقوة التى تكفل له صرعها واحدًا بعد الآخر ، وأخذت الكلاب الباقية تتشمَّم زميليها القتيلين ، على حين قال (أدهم) :

ــ هيًا يا عزيزتى .. سنجرى قليلًا ، ثم نقتل كلبًا آخر .

سألته فى دهشة ، وهى تعدو خلفه :

ــ ولكن لماذا ؟

ويبدو أنه أراد إجابتها بشكل عملى ، فقد عادت الكلاب تنطلق فى أثرهم وهى تعاود نباحها المزعج ، فاستدار (أدهم) فجأة ، وحطَم رأس أولها برصاصة مُحْكمة .. وهنا توقَّفت الكلاب تمامًا ، وقد وعت الدرس الذى أراد (أدهم) أن يلقِّنها إيَّاه ، فالمطاردة تعنى القتل ..

وعاد (أدهم) يعدُو مع زميلته دون أن يحاول كلب واحد متابعتهما ، وإن أخذت كلها تزوم وتزمجر فى غضب ، حتى اختفى الرجل والفتاة وسط الظلام ...

صاحت (منى) فى فرح :

ــ لقد نجحنا .. تخلَّصنا من مطاردة الكلاب .

قال (أدهم) فى سخرية :

ــ هذا رائع .. لم يعد أمامنا سوى (سونيا جراهام) ، واللورد (جيمس لويد) ، ورصاص رجالهما .

وقبل أن تعقِّب (منى) ، صاح (أدهم) :

ــ ها قد وصلنا إلى سور القصر .

تنبهَّت (منى) فجأة إلى الأحجار الضخمة التى صنع منها السور ، ورأته فى وضوح بعد عشر خطوات ، ثم خُيِّل إليها أن ضبابًا كثيفًا يتصاعد بينها وبينه ، فسألت (أدهم) فى قلق :

ــ ماذا يحدث ؟

أجابها وهو يتحسَّس طريقه وسط الضباب الكثيف ، الذى حجب الرؤية تمامًا :

ـ لست أدرى ، ولكن الضباب الطبيعى لا يبدأ ولا ينتشر بهذا الشكل .

سألته فى خوف :

ـ أما زلت ترَى السور ؟

أجابها فى هدوء :

ـ أعتقد أننى سألمسه الآن و ....

وفجأة صك مسامعها صوت يشبه الشرر الكهربائى ، وسمعت صيحة مكتومة من (أدهم) ، ثم صوْتَ جسد يرتطم بالأرض ، فصاحت فى رعب :

ـ يا إلهى !! إن السور مكهرب .. لقد تلقَّى (أدهم) صدْمة كهربائية قاتلة .

* * *



٦ ـ الفريسة ..

تصوَّر (أدهم) فى اللحظة الأولى التى استعاد فيها وعيه ، أنه فى عداد الأموات ، فقد طالعه أوّلَ ما طالعه ظلام دامس ، واشتم أنفه رائحة رطبة عطنة ، وحاول تحريك يديه أو قدميه ، فعجز عن ذلك .. وهنا استسلم لوضعه الجديد كرجل ميِّت ، إلَّا أن حواسَّه وصفاء ذهنه بدأت فى الوضوح تدريجيًّا ، ولم يلبث أن تبيَّن أنه مقيد الساقين والقدمين بأغلال معدنية ، إلى منضدة رخامية ضخمة ، داخل أحد أقبية القصر المظلمة ، فغمغم فى سخرية :

ـ يا لها من غرفة ساحرة !!

ولكنه عاد يشعر بالحنق من نفسه ، وتذكَّر أنه فقد وعيه أكثر من مرة خلال ثلاث أو أربع المغامرات الأخيرة ، فمطَّ شفتيه فى ضيق ، وحاول التخلُّص من قيوده ، ولمَّا تبيَّن استحالة ذلك عاد يستكين ، وانتابته

الدهشة هذه المرة ، فبرغم وجود (سونيا جراهام) ، إلّا أنه ما زال حيًّا ، وتأكد فى قرارة نفسه أنها أعدّت له ميتة قاسية ، إلى درجة أنها أبقت على حياته ، ولكن .. أليس من الممكن أن يكون اللورد (لويد) هو صاحب فكرة تركه على قيد الحياة ؟ .. ولكن لماذا ؟ ..

قادته أفكاره إلى التساؤل عن السبب فى وجود (سونيا) دائمًا فى طريقه ، وشعر بالدهشة من إصرار رؤسائها على إسناد مثل هذه المهام إليها ، برغم فشلها الدائم ، ثم ابتسم فى سخرية ، حينما طاف بذهنه خاطر يقول : إنهم ربما لا يعتبرون الفشل الناجم عن تدخُّله فشلاً بالنسبة لرجالهم ، فربما أنهم اعترفوا بتفوُّقه عليهم تمامًا ..

وعند هذه النقطة من أفكاره المسترسلة ، سمع وقع خطوات تقترب .. كانت خطوات رجل وامرأة ، ولم يداخله الشك لحظة فى أنهما (سونيا جراهام) واللورد (لويد) ، ولم يلبث أن تحقق من صدق حدسه ، حينما سمع صوت (سونيا) الساخر وهى تقول :

ــ هل استيقظت يا عزيزى (أدهم) ؟

وأضاء القبو فجأة ، حتى أن (أدهم) لم يحتمل الضوء المبهر ، فأغلق عينيه فترة ، وحين فتحهما كانت هناك ابتسامة ساخرة تتوّج شفتيه ، وهو يقول :

ــ وهل هناك رجل عاقل يستسلم للنوم ، فى وجود حسناء مثلك يا عزيزتى (سونيا) .

وعلى الرغم منها شعرت (سونيا) ببعض السعادة لعبارته ، ولكنها كتمت مشاعرها وقالت :

ــ لا ريب أنك تتساءل عن السبب فى تركنا لك على قيد الحياة .. أليس كذلك ؟ .

أجابها فى سخرية للمرة الثانية :

ــ بل أتساءل عن الرشوة التى دفعتها لقوانين الوراثة ، حتى تمنحك كل هذا الجمال يا عزيزتى (سونيا) .

وللمرة الثانية أيضًا شعرت (سونيا) بالسعادة ، إلى درجة أدهشتها هى نفسها ، حتى أنها أخذت تتأمّل ملامح (أدهم) الوسيمة فى تعجُّب وصمت ، إلى أن قال (لويد) محنقًا :

ــ لقد خشينا أن تموت ميتة عاديَّة يا مستر (أدهم) ، وقرَّرنا أن نمنحك أعظم ميتة فى التاريخ .

قال (أدهم) فى تهكُّم واضح :

ــ كيف ؟ .. هل ستجبرنى على النظر إلى وجهك يومًا كاملًا ؟

عضَّ اللورد على شفتيه ، وتابع متجاهلًا تعليق (أدهم) :

ــ هل تعلم كيف نقوم باصطياد الثعالب يا مستر (أدهم) ؟

قال (أدهم) :

ــ يكفى أن يرى الثعلب وجهك ، فيموت من شدة الضحك ، يا عزيزى اللورد .

أكمل اللورد فى هدوء :

ــ إننا نتركه ينطلق ، ثم نطلق كلابنا فى أثره ، ونحن خلفها على ظهور جيادنا ، حتى يصيبه الإنهاك ، فتنقضّ عليه الكلاب ، وتمزِّقه إربًا إربًا ، وفى النهاية لا نفيد منه إلا فراءه .

ابتسم (أدهم) فى سخرية دون أن يعلِّق ، فعاد اللورد (لويد) يقول :

ــ هذا ما سنفعله معك يا مستر (أدهم) .. سنطلقك فى الفجر عاريًا إلَّا من سروال قصير ، كالثعلب تمامًا ، وستسرى الكهرباء فى السور ، بحيث تمنعك من مغادرة الضيعة المحيطة بالقصر ، وهى ضيعة شاسعة كما ترى ، بها عدد من الغابات والحقول .. كل هذه المساحة يمكنك استغلالها للاختباء ، ولكن بعد انطلاقك بربع ساعة فقط سنطلق الكلاب المتوحشة فى أثرك ، ولقد قتلت خمسة منها هذا المساء ، ولابدَّ لبقيتها من الثأر .

ضحك (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة ، تدلّ على اللامبالاة بالأمر ، وقال :

ــ وأين ستعلِّق فرائى أيها الوغد ؟

قال اللورد متجاهلًا ما سمعه :

ــ لو أردت نصيحتى ، فخير ما تفعله هو أن تحاول الهرب من الكلاب المتوحشة ، حتى ألحق بك بجوادى أنا

و (سونيا) ، وأعدك حينذاك أن أطلق النار على رأسك مباشرة .

قال (أدهم) ساخرًا :

ـــ يا لك من رحيم !!

فاض الكيل باللورد (لويد) فصرخ غاضبًا ، متخليًا عن بروده الشهير :

ـــ اسخر ما شئت أيها الشيطان المصرى .. تمامًا كما كان والدك ، ولكننى سأقتلك شر قتلة كما فعلت به .

شعرت (سونيا) على الرغم منها ، بموجة هائلة من الرعب تجتاح جسدها ، وارتعد (لويد) على الرغم منه على مرأى ذلك البريق الشرس المخيف ، الذى ظهر فى عينى (أدهم صبرى) وملامحه ، التى انقلبت فجأة ، فعبَّرت عن الغضب والحقد والاشمئزاز والكراهية ، فى مزيج مذهل ، وخرج صوته يحمل برودة الموت ، وهو يتفرَّس فى وجه (لويد) قائلًا :

ـــ إذن فهو أنت ! .. يا لها من مفاجأة سارة !!

ثم أردف فى صوت يحمل ضغينة ثلاثين عامًا :

ـــ ثِقْ يا وغد الأوغاد ، أننى سأمزقك إربًا .

تمالك اللورد أعصابه ، وقال فى هدوء :

ـــ المهم أن تنجو من مخالب كلابى أوَّلًا ، يا مستر (أدهم) .

* * *

شفَّ أسلوب رجال اللورد (جيمس لويد) ، عن شدة خشيتهم من بأس (أدهم) ، أو على صرامة الأوامر التى تلقَّوْها ، فقد أخرجه خمسة رجال يحملون المدافع الرشاشة ، ويصوِّبونها إليه فى حذر بالغ ، واصطحبوه فى سيارة من طراز الجيب بعد الفجر مباشرة ، إلى منطقة تبعد حوالى الكيلومتر عن القصر ، وهناك تركوه بسروال قصير ، عارى الصدر والذراعين والساقين ، وابتعدوا بالسيارة فى سرعة ، كأنهم يخشون أن يتبعهم .. ولم تكد السيارة تختفى وسط غابة متشابكة الأغصان ، حتى قال (أدهم) فى صوت ولهجة ، لو سمعهما اللورد (لويد) لفضل الانتحار هربًا مما سيصيبه :



وأمسك الفرع الذى تحوَّل إلى رُمح حادّ بكلتا قبضتيه ،
دون أن تفارق ابتسامته الساخرة شفتيه ..

ـ ويل لك منِّى أيها الوغد القاتل !!

ثم رفع رأسه وكأنه يناجى روحَىْ أمه وأبيه ، وقال :

ـ سأنتقم لك يا أبى .. سأنتقم كما وعدتك يا أمى .

وزوَى ما بيْنَ عينيه ، حينما وصل إليه صوت الكلاب المتوحشة وهى تنبح فى شراسة ، ونباحها يقترب شيئًا فشيئًا ، ثم أخذ يدور ببصره حوله ، حتى رأى شجرة يابسة ، فابتسم وأسرع نحوها ، وجذب غصنًا قويًّا من أغصانها بقوته الفولاذية ، وأخذ ينزع تفرُّعاته فى سرعة ، ثم تناول حجرًا صغيرًا من الأرض ، وأخذ يبرى الفرع فى هدوء ، وكأنه نسى الكلاب التى تقترب منه فى سرعة ، ووحشيتها تتزايد كلما حملت إليها الرياح رائحة فريستها تقترب وتقترب ..

وأخيرًا أصبح أسرع الكلاب الستة على مرمى البصر من (أدهم) ، الذى باعد ما بين ساقيه ، وأمسك الفرع الذى تحوَّل إلى رُمح حادّ بكلتا قبضتيه ، دون أن تفارق ابتسامته الساخرة شفتيه ..

ولو أن مصورًا محترفًا التقط له صورة فى هذا الوضع ، لصَعُب الجزم بالعصر الذى ينتمى إليه ، فقد كان يشبه رجال العصور القديمة فى عضلاته المفتولة ، وصدره العريض ، وشعره غير المنسَّق ، ونظراته الباردة ..

ولَمْ يلبث الكلب أن نبح فى وحشية ، حينما لمح فريسته على بعد أمتار قليلة منه ، وظهرت خلفه الكلاب الخمسة الأخرى وهى تعوى فى سيمفونية مرعبة ، ثم زمجر الكلب الأول ، وطار فى الهواء بأنيابه البارزة ، التى يسيل منها زبد الموت ، وعيناه مركَّزتان على فريسته .. على (أدهم صبرى) .

* * *



٧ ــ الشيطان ..

إنه صراع رهيب ، بين رجل شبه أعزل إلَّا من رُمح خشبىّ ، وستة كلاب متوحشة .. ولقد بدأ هذا الصراع حينما قفز الكلب الأول نحو الرجل ، واندفعت يد الرجل بالرمح فى صدر الكلب .. غاص رمح (أدهم) بين ضلوع الكلب الأول الذى اندفعت الدماء من شدقيه وجرحه ، ورفعه (أدهم) إلى أعلى كالعلم ، ثم قذفه بعيدًا ، مخلِّصًا إيَّاه من ذبابة الرُّمح ، وعاد يشهر رُمحه الخشبىّ البدائىّ فى وجه الكلاب الخمسة الآخرين ، وغاص رمحه فى عنق أحدها ، ثم فى بطن آخر ، فى نفس اللحظة التى أنشبت فيها الكلاب الثلاثة الأخرى مخالبها ، فى ساق (أدهم) وصدره ، واندفعت دماؤه تلوِّث جسده ، إلَّا أنه فى جرأة وثبات مذهلين ، طعن كلبًا رابعًا طعنة نجلاء ، نفذ بسببها الرُّمح من بطن الكلب إلى ظهره ، ولكن تلك الضربة القوية كان من جرَّائها أن انكسر الرُّمح ، وأصبح (أدهم

صبرى) أعزل ، فى مواجهة كلبين من نوع (الدوبرمان) المتوحش ...

هجم الكلبان على (أدهم) فى شراسة ، وحاولا غرس أنيابهما فى عنقه وذراعيه ، ولكن القوة الرهيبة التى بعثتها فى جسده الرغبة فى الانتقام ، ساعدته على أن يمدّ كفَّيه ، فيقبض على عنق الكلب الأول ، ويعتصرها بقبضتيه الفولاذيتين ، فندت حشرجة ونباح مكتوم من حنجرة الكلب ، ثم جمع (أدهم) قوّته ولكم الكلب السادس والأخير أسفل فكّه ، كما يلكم خصمًا .. تراجع الكلب وهو يزوم غضبًا ، وأخذ يتأمّل خصمه البشرى ، الذى نهض ومسح الدماء عن صدره ، ثم باعد ما بين ساقيه وذراعيه ، مستعدًا لمنازلة الكلب الأخير .. وفجأة قفز الكلب ، وتلقّاه (أدهم) بلكمة قوية .. قوية .. حتى أنها حطَّمت عنق الكلب المسكين بصوت مزعج ، أثار اشمئزاز (أدهم) ، برغم أنه يعلن عن انتصاره فى الجولة الأولى ..

نهض (أدهم) مثخنًا بالجراح ، وتطلّع فى هدوء إلى جثث الكلاب الستة المتوحشة ، وكأن انتصار رجل واحد

عليها أمر طبيعىّ للغاية ، حتى أنه لم يشعر بالفخر أو الرغبة فى السخرية كعادته ، بل مسح الدماء التى تسيل على وجهه ، وقال فى حنق :

ـــ سأضيف هذا إلى فاتورتك يا وغد اللوردات .. وستدفع الثمن كاملًا .

* * *

تطلَّع اللورد (جيمس لويد) من فوق صهوة جواده الأسود ، وعَبْرَ منظاره المقرِّب إلى الدَّغل القريب ، ثم قال وهو يجذب عنان فرسه :

ـــ لم يظهر ذلك الشيطان بعد .. لا ريب أن الكلاب قد مزَّقته إربًا .

هزَّت (سونيا) كتفيها ، وقالت فى لهجة متشكّكة :

ـــ لن أصدِّق إلَّا إذا رأيت ذلك بنفسى .

قال اللورد فى غيظ :

ـــ سترين يا (سونيا) .. سترين .

شعرت بغريزتها الأنثوية أنه نافد الصبر ، فقالت لتلطيف الموقف :

ــ هل تعلم يا عزيزى اللورد ، أن اختراعك الخاص بالضباب الصناعى عظيم للغاية ؟.. لقد نال إعجاب رؤسائى إلى درجة كبيرة .

انتفخت أوداجه وهو يقول :

ــ إننى أحسن استغلال دراستى لعلم الكيمياء يا عزيزتى (سونيا) .. أنت تعلمين أننى حاصل على شهادة رفيعة فى هذا المجال ..

ابتسمت (سونيا) ، وقالت فى رقة :

ــ إنها بعض الأحماض الضعيفة .. أليس كذلك ؟

تنهَّد فى عمق ، وقال فى فخر :

ــ بل هى قرص من مادَّة مخدِّرة يوضع داخل كأس من حامض النيتريك ، فينتج كمية من الضباب ، كافية لتغطية ضيعتى بأكملها .. إنها وسيلة مثالية للتعمية وإرباك العدوّ ..

قالت (سونيا) ، فى لكنة تحمل سخرية لم ينتبه إليها اللورد لحسن حظها :

ــ نعم ، مثل قنابل الدخان تمامًا .

ثم قالت فى صوت هادئ :

ــ ولكنك تسرف فى استخدامها يا عزيزى اللورد .

أشاح بذراعه فى شكل لا مبال ، وقال :

ــ إننى أختبرها فقط .

ثم لكز جواده مستطردًا :

ــ المهم .. هيَّا بنا حتى لا يفوتنا مشهد تمزيق جثة (أدهم) .

تبعته (سونيا) على صهوة جوادها ، وهى تحاول تفسير الضيق الذى أصاب قلبها ، حينما تحدَّث اللورد عن مصرع (أدهم صبرى) .

* * *

صرخ اللورد (لويد) فى غضب ، وهو يتأمَّل كلابه الصريعة :

ــ يا للهول !! يا للشيطان !! لقد هزم وحده ستة كلاب متوحشة .. إنه ليس ببشر .

قالت (سونيا) فى صوت مختنق :

ـــ بل هو رجل نادر الوجود يا (لويد) .

كانت هذه هى المرة الأولى التى تناديه فيها باسمه مجردًا ، ولكنه لم ينتبه إلى ذلك ، وهو يدور ببصره فى المكان قائلاً فى غيظ :

ـــ أين ذهب هذا الشيطان ؟.. لابدَّ لى من اقتناصه .

قالت (سونيا) فى ضجر ، وهى تتأمَّل المكان بدورها :

ـــ المهم ألَّا يقتنصنا هو .

ساد الصمت فجأة إلَّا من صوت الطيور الصغيرة ، وتركَّز اهتمام (سونيا) و (لويد) فى البحث ببصرهما عن (أدهم) ، الذى بدا وكأنه قد تبخر فى الهواء ، وأخيرًا أخرج اللورد مسدسه ، وقال :

ـــ لست أدرى ، لِمَ أشعر وكأنه يراقبنا من مكان خفىّ ؟

قالت (سونيا) فى قلق :

ـــ شعور مشترك أيها اللورد .

ثم جذبت عنان جوادها لتدفعه للدوران إلى الخلف ، وهى تستطرد :

ـــ ولهذا فسأعود إلى القصر .. لست أشعر بالاطمئنان هنا .

أشار (لويد) فجأة إلى دغل قريب ، وقال :

ـــ هذا هو المكان الوحيد الذى يمكنه الاختفاء فيه .

ثم انطلق بجواده تجاه الدَّغل ، وتبعته (سونيا) ببصرها فى قلق ، وغمغمت :

ـــ وهو المكان الوحيد الصالح لفخ مُحْكم كذلك ، أيها الغبىّ .

انطلق (لويد) داخل الدَّغل قبل أن ينتبه إلى ذلك ، وأوقف حصانه وهو يدور ببصره فيما حوله ، ودار بمسدّسه فى نفس الاتجاه ، وهو يقول :

ـــ أين أنت يا ضابط المخابرات المصرى ؟

وفجأة ارتطم شىء ما بخده ، ومدَّ يده ليجد أنه بصقة مقصودة ، وسمع صوتًا غاضبًا يقول من أعلى :

ــ هنا أيها القاتل الوغد .

رفع (لويد) يده ومسدسه فى ذعر ، ولكنه شعر بصاعقة تنقض عليه من أعلى شجرة ضخمة .. صاعقة تحمل اسم (أدهم صبرى) .

* * *

قفز (أدهم) كالفهد الشرس فوق (لويد) ، فأمسك بمعصمه متقيًا رصاص مسدسه ، ودفعه أمامه من فوق الجواد ، ليسقط كلاهما أرضًا متشابكين .

.. كانا يمتلكان نفس الجسد الرياضى المرن ، ولكن (أدهم) كان يمتلك شيئًا إضافيًا تفيض به عروقه ، ألا وهو الكراهية والرغبة فى الانتقام ..

أطلق (لويد) لكمة قوية نحو فك (أدهم) ، الذى تفاداها فى مهارة ، وردَّها بلكمة ساحقة ، تأوَّه لها (لويد) ألمًا ، وصاح :

ــ إنك لن تنجح فى الهرب حتى لو قتلتنى .

جذبه (أدهم) من عنقه ، قائلًا فى قسوة :

ــ إنك تغطِّى وجهك بضمادة كبيرة يا لورد ، بعد أن قذفت المسدس فى وجهك أمس .. هل تصوَّرت لحظة أن ذلك لم يكن عملًا مقصودًا ؟ .. لقد كان خطًا دفاعيًا ثانيًا أيها الوغد .

وفجأة لكم اللورد (أدهم) فى معدته ، وأعقبها بأخرى فى فكِّه ، ثم قفز على قدميه ، والتقط مسدسه ، وصوَّبه نحوه قائلًا :

ــ إن الدماء تفيض من جروحك المتعدِّدة يا مستر (صبرى) ، حتى أنك غير قادر على التغلُّب علىَّ .. لقد فشلت كوالدك .

اندفعت دماء الغضب فى عروق (أدهم) ، فقال فى شراسة :

ــ لقد أخطأت بنطقك هذه العبارة أيها المجرم .

شعر اللورد فجأة برعب هائل ، وشعر بالندم الشديد ؛ لأنه نطق هذه العبارة التى أيقظت روح الانتقام فى جسد (أدهم) المثخن بالجراح .. جراح الجسم

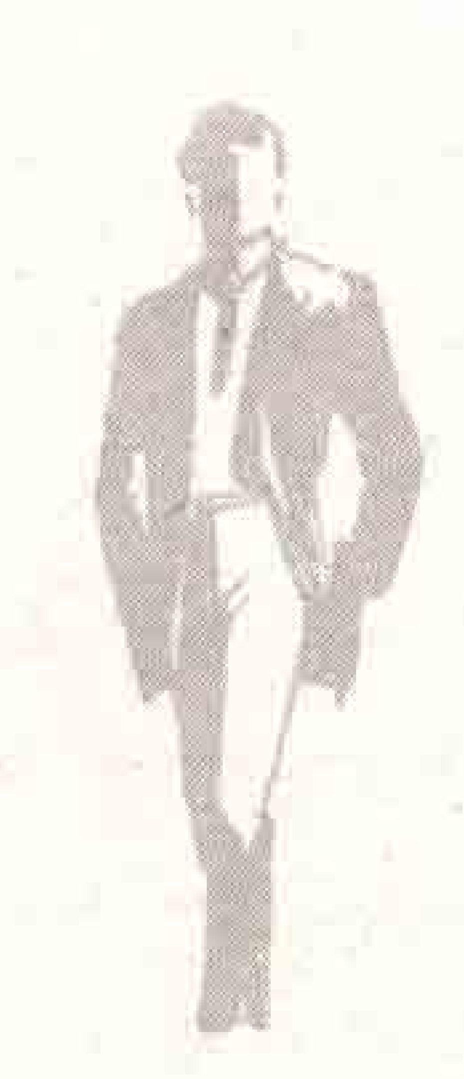
والنفس ، وارتجفت يده وهو ينظر فى عينى (أدهم) ، اللتين تألّقتا ببريق عزمٍ وكراهية ، وتراجع متقهقرًا ، برغم أنه هو الذى يحمل السلاح ، و (أدهم) أعزل إلّا من ذراعيه .

وفجأة طوَّح (أدهم) مسدس اللورد بركلة قوية ، ثم قفز نحوه ، وجذبه من سترته بيسراه ، وتحوَّلت يمناه إلى مدفع رشاش قاسٍ لا يرحم ، واندفعت فى لكمات متتالية قوية ساحقة ، تحطِّمُ أنف اللورد ، وفكّه ، وأسنانه ، وتورِّمُ عينيه ، وتُدْمِى أذنيه ، حتى رفع كفَّيه ضارعًا متوسّلًا ، و (أدهم) لا يكف بل ينطلق كالآلة ، وقد أعماه الحقد ، وحفزته الرغبة فى الانتقام .. انتقام تغلغل فى دمه وخلاياه طوال ثلاثين عامًا ، وكانت ملامحه كلها تعبِّر عن الحنق والحقد والكراهية .

وفجأة أيضًا توقَّف (أدهم) عن توجيه لكماته الغاضبة ، فقد رأى عن قرب (سونيا جراهام) ، تندفع

على صهوة جوادها نحوهما ، ومسدسها مشهور فى يديها ، ومصوَّب نحوه تمامًا ، وأصابعها تضغط على الزِّناد .

* * *



٨ ــ الثمــــن ..

أمسك (أدهم) فجأة بسترة اللورد ، الذى تغطَّى وجهه كله بالدماء ، وجذبه إليه ورفعه ليضعه كالدرع بينه وبين رصاصة (سونيا) القاتلة .

صَهل حصان (سونيـا) ، ودار حول نفسه ، حينما ارتفع صوت الرصاصة ، وصرخت هى فى غضب وحنق ، وجحظت عينا اللورد ، وشهق فى ألم وذهول ، وهو يتشبَّث بكتفى (أدهم) .. كانت رصاصة (سونيا) قد استقرت فى عموده الفقرى تمامًا .. وتخاذلت ساقا الرجل ، وشعر بفقدان قدرته على التحكُّم فى أطرافه ، فتراخى ذراعـاه وساقاه ، وهوى أرضًا جاحظ العينين .

اندفعت (سونيـا) صارخـة نحو (أدهـم) ، فوق جوادها الأبيض ، وصوَّبت نحوه مسدّسهـا مرة أخـرى ، ولكنها فوجئت به يندفع نحوها فى مبادرة أذهلتها ، وأطاحت بحسن تفكيرها وبصواب جوادها أيضًا ..



ومن العجيب أنه حينما نودّ استخدام لفظ يعبِّر عن القوة ، فنحن نقول إنه فى قوة الحصان ، هذا لأننا لم نرَ رجلاً أقوى من الحصان ، ولكن (سونيا جراهام) رأت ذلك كما قالت فى تقريرها .

لقد رفع جواد (سونيا) قائمتيه الأماميتين ، وهو يصهل صهيلاً قويًا ، حينما فوجئ بـ (أدهم) أسفل مَنْخِرَيْهِ تمامًا ، وتشبَّثت (سونيا) بعنان الجواد ، متنازلة مؤقتًا عن إطلاق النار ، ولكنها فوجئت بـ (أدهم) يرفع ذراعيه ، ويصرخ صرخة قوية أصابتها وحصانها بالرُّعب ، وهى تقسم أن (أدهم) دفع رأس الحصان فى قوة مذهلة أسطورية ، فصهل الجواد فى ذعر ، وسقط على الأرض ، ثم نهض واندفع يعدُو فى رعب ، على حين فقـدت هى مسدسها ، وفوجئت بـ (أدهم) يرفعها كالريشة ، ويوجِّه إليها صفعات قوية متتالية غاضبة .. ولأول مرة فى عمرها بكت (سونيا جراهام) .. بكت قهْرًا وذُلًّا ، ثم فقدت وعيها ..



دفع رأس الحصان فى قوة مذهلة أسطورية ،
فصهل الجواد فى ذعر ، وسقط على الأرض ..

ألقاها (أدهم) فى لا مبالاة على الأرض ، وعاد إلى اللورد وانحنى يتأمَّله .. كان جاحظ العينين كما هو ، ولكن حدقتاه تتحرَّكان ، دون أن يحرِّك إصبعًا واحـدًا من أطرافـه ، وكانت ملامحـه مملوءة بالرُّعب ، ففحصـه (أدهم) فى سرعة ، ثم لم يلبث أن تنهَّد فى ارتياح ، وقال :

ــ لقد دفعت ثمنًا عادلًا أيها القاتل الوغـد .. لقـد أصيبت أطرافك بشلل دائم إثر رصاصة زميلتك .. يا له من ثمن !!

ظهر التوسُّل فى عينى اللورد ، ولكن (أدهم) لم يشعر بذرَّة من الشفقة ، بل انحنى فى هدوء ونزع الضِّمادة التى يغطِّى بها اللورد وجهه ، ووضعها على وجهه هو ، قائلًا فى سخرية :

ــ هل علمت الآن ، لِمَ تعمَّدت جرحك فى وجهك يا عزيزى اللورد ؟

ثم أردف وهو يخلع عن اللورد المشلول ثيابه :

ــ إن انتحال شخصيتك يصبح أيسر ، إذا ما كان وجهك مختفيًا خلف ضمادة كبيرة .

حاول اللورد أن يحرِّك لسانه بلا فائدة ، وقـال (أدهم) :

ــ سأتركك كما أنت أيها القاتل ، ولتكن مشيئة الله (عز وجل) ، فإمَّا أن تقضى نحبك جوعًا وبردًا ، وإمَّا فوق مقعد متحرِّك .

واستطرد وهو يحكِمُ سترة اللورد حول كتفيه :

ــ أمَّا أنا فسأذهب لتخليص زميلتى ، ومغادرة هذا القصر الملعون .

ورفع رأسه إلى السماء متابعًا :

ــ لقد فعلتها يا أمى .. لقد فعلتها يا أبى .. لقد فعلتها يا مصر .

* * *

اكتفى حرَّاس اللورد (لويد) ، بإلقاء نظرة سريعة على الجواد الأسود المميَّز ، وهو يندفع حاملًا راكبـه فى اتجاه القصر ، ولم يهتم أحدهم بأن الرَّاكب قد أرخى غطاء رأسه فوق عينيه على غير عادة اللورد ، كل ما رأوه هو سترة

الركوب الحمراء ، والسروال الواسع الذى ينتهى داخل حذاء ذى رقبة عالية ، ولم يلبث كل حارس أن عاد إلى سيره ، أو تدخين سيجارته ، فى غير اهتمام .. أمّا الراكب فقد توقّف أمام باب القصر تمامًا ، وقفز من فوق صهوة جواده ، وانطلق فى خطوات واسعة إلى داخل القصر ، دون أن يهتم بتحيّة خدمه كعادته ، إلّا أنه أشار إلى خادم خاص بأن يتبعه ، وهو يندفع إلى غرفة مكتبه ..

لم يكد الخادم يتبع سيّده ، ويغلق الباب خلفه ، حتى اتسعت عيناه رعبًا وذهولًا ، وصاح فى خوف :

ـــ ولكنك لست سيّدى الد ....

قاطعه (أدهم) ، بأن ألصق فوّهة مسدسه بعنق الخادم ، وقال فى هدوء وسخرية :

ـــ نعم يا صديقى .. إننى لست سيّدك الوغد .

ارتعد الخادم ، وقال :

ـــ لست أمتلك مالًا يا سيّدى .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـــ ولكنك تمتلك ما هو أغلى من المال يا صديقى .

نظر إليه الخادم فى خوف وتساؤل ، فاستطرد (أدهم) فى هدوء :

ـــ يمكنك أن تخبرنى أين أخفى سيّدك الوغد زميلتى .

ظهر التردُّد على وجه الخادم ، فجذب (أدهم) إبرة مسدسه ، وقال :

ـــ نسيت أن أقول لك إننى سأمهلك ثلاث ثوانٍ فقط ، وبعدها سأبحث عن غيرك ليخبرنى بذلك .

تصبّب وجه الخادم عرقًا ، وقال فى خفوت :

ـــ سأخبرك يا سيّدى .. سأخبرك .

* * *

تأوّهت (سونيا جراهام) ، وهى تنهض من غيبوبتها فى صعوبة ، وتطلّعت حولها فى دهشة ، ثم جلست على الأرض ، وضمّت ركبتيها إلى صدرها ، واعتمدت عليهما بجبهتها ، وشعرت بحنقها يندفع إلى عينها ، ولم تحاول حتى كتمان مشاعرها هذه المرّة ، فانخرطت فى بكاء حار ، وجسدها يرتجف فى قوة .

وأخيرًا خُيِّل إليها أن دموعها قد جفَّت ، فمسحت وجهها ، ونهضت فى استسلام ، ورفعت رأسها تتأمَّل السماء ، وهى تقول :

ــ إلى متى ستظل تجبرنى على الاعتراف بضعفى كأنثى يا (أدهم صبرى) ؟

وفجأة خُيِّل إليها أنها لمحت ظلًّا يختفى تحت شجرة وارفة ، ولم تلبث أن تبيَّنت فى هذا الظِّل جسد اللورد (لويد) ، فأسرعت نحوه ، وتأمَّلته فى هدوء ، ثم انحنت تفحصه ، وعيناه الباردتان تتابعانها فى توسُّل وضراعة ، ولم تكد تتأكَّد من إصابته بالشلل التام ، حتى نهضت تتأمَّله فى برود ، وقالت :

ــ مسكين يا عزيزى اللورد .. ستقضى عمرك بأكمله فوق مقعد متحرِّك .

سالت دمعتان ساخنتان من حدقتى اللورد ، وهو يتأمَّلها فى أسًى وهى تستطرد :

ــ لقد خدمت (الموساد) كثيرًا وطويلًا يا لورد (لويد) ، ولا ريب أنك تنتظر منه الاعتراف بالجميل .

ثم ابتسمت فى سخرية ، واستطردت :

ــ صحيح أنك تقاضيت مبالغ طائلة فى مقابل ولائك هذا .. مبالغ مكَّنتك من المحافظة على سمعة أسرتك ، بعد أن كدتم تشهرون إفلاسكم .. وساعدتك أيضًا على امتلاك مثل هذه الضَّيعة الشاسعة .. ولكن ذلك لا يمنع من أنك قدَّمت الكثير من الخدمات .

وضحكت قائلة :

ــ ولقد احتملنا اختراعك السخيف هذا الخاص بالضباب الصناعى ، برغم عدم جدواه ، وبرغم إصرارك على استخدامه بمناسبة وبدون مناسبة .

امتلأت عينا اللورد بالذُّعر وهو يستمع إلى حديثها ، على حين استطردت هى فى لهجة أقرب إلى التهكُّم :

ــ ولكنك غبىٌّ يا لورد .. غبىٌّ .. حتى أنك صدَّقتنى حينما أخبرتك أن ادعاءك مسئولية مصرع والد (أدهم صبرى) ، سيجعله ينهار ويصبح أضعف .

ضحكت ضحكة ساخرة أرعبته ، وهى تتابع :

ـــ إنها خطة رائعة ، وضعها مدير مخابراتنا فى ذكاء ..
إنه هو الذى قتل والد (أدهم) عام ألف وتسعمائة وستة وخمسين ، وهو منذ معرفته بانضمام (أدهم صبرى) إلى المخابرات المصرية كوالده ، وهو يرتعد فرقًا ، خشية انتقام الشيطان المصرى ، حتى وصلتنا أنباء تقول إن المخابرات البريطانية بدأت فى تتبع آثارك .

صمتت لحظة ، وعادت تقول :

ـــ وهنا علمنا أنك فقدت أهميتك كعميل أوربة الأول ، وكان لابدَّ من التخلُّص منك ، وهنا فكَّر مديرنا فى هذه الخطَّة المزدوجة .. فلقد كنا نعلم أن (أدهم صبرى) سيمزِّقك إربًا ، إذا ما تصوَّر أنك قاتل والده ، أو أنك ستقتله ، وفى كلتا الحالتين نفوز نحن .

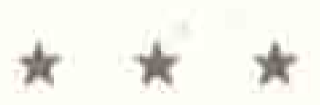
ضحكت مرة أخرى ، وقالت :

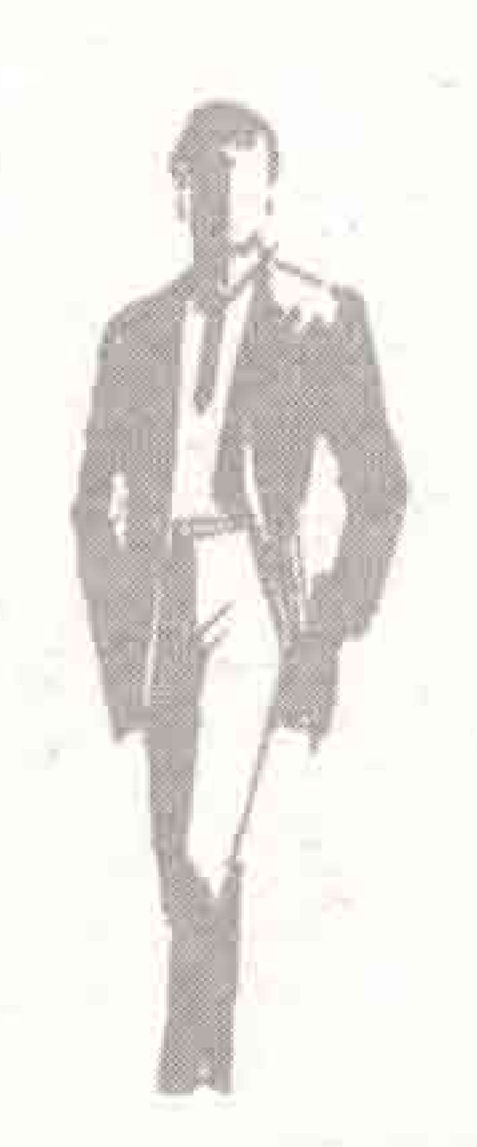
ـــ لقد كنت بالنسبة لنا طوال الثلاثين عامًا الماضية ، جوادًا رابحًا أيها اللورد ، ولهذا فسنعاملك كالجواد .

وصوَّبت مسدسها إلى رأسه ، مكمِّلة فى برود :

ـــ هل تعلم ماذا يفعلون بالجياد التى تصاب بالشلل ؟

اتسعت عينا اللورد رعبًا ، وتردَّد فى الدَّغل صوت رصاصة قاتلة .





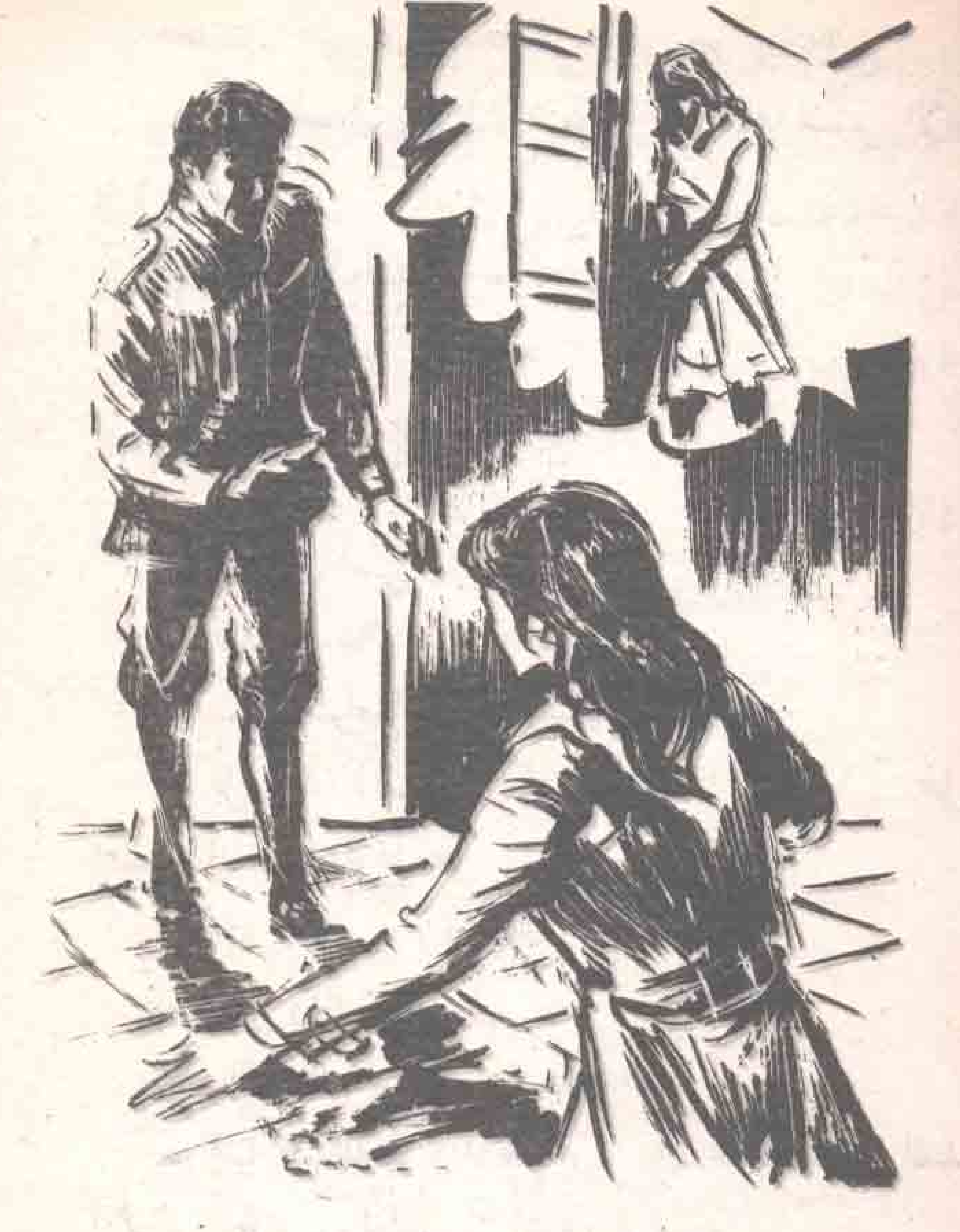
٩ ـ الهـروب ..

تحرّكت (منى) فى سجنها الصغير بعصبيَّة ، وأخذت تتوقَّف ما بين آونة وأخرى ، تبتهل إلى الله أن ينقذ زميلها ، وتطوف ببصرها فى الحجرة المصمتة العارية ، الخاليـة من النوافذ والأثاث ، إلَّا من باب معدنى صغير يقف خارجه حارسان ضخما الجثة ، يحملان مدفعيهمـا الرشاشين ، وقد تلقَّيا أوامر صارمة ، بإطلاق النار لمجرد الشك .. لم تكن تدرى أأشرقت الشمس أم لا ، فبالنسبة لها لا مصدر للضوء سوى ذلك المصباح الخافت ، الـذى يتدلَّى من سقف الحجرة ، ويتأرجح لمجرد سيرها ، وكأنه يتراوح بين البقاء أو السقوط ..

وضمت (منى) كفَّيها أمام وجهها ، وأغلقت عينيها وهى تقول فى صوت هامس :

ـ يا رب .. احفظ (أدهم صبرى) .. إنه ....





سمعت صوت مفتاح يدور فى الباب ، ثم فتح الباب المعدنى وظهر على عتبته (أدهم) ..

وبترت ابتهالاتها ، حينما وصل إلى مسامعها صوت أقدام ثابتة ، تهبط الدَّرَج المواجه لغرفة سجنها ، فاقتربت من الباب المعدنى ، وألصقت أذنها تستمع إلى الأصوات خارجه ، محاولة استنتاج ما يحدث ، فسمعت صوت همهمة غير مفهومة من أحد الحارسين ، أعقبها ضجيج قوى ، حينما ارتطم جسد ضخم بالباب المعدنى لزنزانتها ، فابتعدت فى دهشة ، وسمعت صوت طلقات مدفع رشاش ، تبعتها طرقة قوية مكتومة ، ثم صمت تام ..

صاحت (منى) ، وهى تصفق بكفَّيها فى جذل :

ــ إنه (أدهم) .. أقسم بالله إنه هو ..

سمعت صوت مفتاح يدور فى الباب ، ثم فتح الباب المعدنى ، وظهر على عتبته (أدهم) فى ثياب الفروسية الخاصة باللورد ، وعلى شفتيه أجمل ابتسامة رأتها (منى) فى حياتها ، وسمعت صوته الساحر المحبَّب إلى نفسها ، وهو يقول :

ــ هل أقلقتك فى هذه الساعة المبكِّرة يا زميلتى العزيزة ؟

هتفت (منى) فى سعادة ، وهى تهرع نحوه :

ــ لم تسعدنى رؤيتك ، بقدر ما أسعدتنى الآن يا (أدهم) .

ثم تعلّقت بذراعه ، وسألته فى لهفة :

ــ أين (سونيا) واللورد ؟

تمتم فى سخرية :

ــ تقصدين (سونيا) والمجنون .

صاحت فى أسًى :

ــ لقد خدعاك يا (أدهم) .

ابتسم فى شراسة ، وهو يقول :

ــ بل أرادا ذلك ، ولكنهما لقيا جزاءهما .. هل تعلمين أن هذا الوغد هو ....

قاطعته (منى) ، صائحة :

ــ قاتل والدك ؟.

نظر إليها فى دهشة ، فاستطردت :

ــ إنها خدعة يا (أدهم) .. خدعة دنيئة .. لقد أوهماك بذلك ، ولكننى لا أدرى غرضهما .

أغلق (أدهم) عينيه ، وأشار إليها أن تكُفّ عن الحديث ، وشعر برأسه يدور ، وبجرح غائر فى كرامته .. فقد خدعه شخص ما لغرض لا يفهمه ، ودفعه إلى تيّار من العنف ، نادرًا ما يلجأ إليه .. لقد كان ضحية ساذجة لخطة ماهرة .

سألته (منى) ، وقد أصابها القلق من الشحوب الذى علا وجهه :

ــ ماذا بك يا (أدهم) ؟

أجابها وهو مغمض العينين :

ــ لا شىء يا عزيزتى .. لقد انتقمنا لمستشارنا العسكرى .. لقد مات اللورد (لويد) .

تمتمت (منى) وكأنما أدهشها الأمر :

ــ يا إلهى !! مات ؟!

فتح (أدهم) عينيه ، وقال :

ــ نعم .. مات يا (منى) .. لقى جزاءه العادل .

تطلّعت إلى وجهه فى قلق ، ثم أمسكت بذراعه مرة ثانية ، وقالت :

ـ هل تعلم أن التقارير السرّية ما زالت هنا ؟

عاد بريق العزم إلى عينيه ، وهو يردّد فى جذل :

ـ هنا ؟! .. هل أنت واثقة ؟

أجابته وقد أسعدها نشاطه المفاجئ :

ـ تمام الثقة .. لقد أخبرتنى (سونيا) متفاخرة ، أنها داخل خزانة صغيرة فى غرفة مكتب اللورد .

ضرب (أدهم) جبهته براحته ، وهو يقول :

ـ يا إلهى !! إنها تلك الخزانة التى تقع خلف المكتب تمامًا .. إننى لم أحاول فحص محتوياتها ؛ لأننى لم أتصوّر أنهم لم يرسلوا المستندات بعد .

تبعته (منى) وهو يسرع إلى الخارج ، ويتناول أحد المدفعين الرشاشين ، الخاصين بالحارسين الفاقدى الوعى ، فيقذفه إليها قائلًا فى مرح :

ـ هيًا أيتها النقيب .. أرينا كيف تطلقين النار .

ثم تناول المدفع الآخر ، وأسرع يرتقى الدَّرَج إلى الطابق الأول فوق القبو ، ولم يكد يصله حتى صوّب مدفعه إلى الحراس والخدم ، قائلًا فى سخرية :

ـ يا لكم من أذكياء !! هل كشفتم أخيرًا أننى لست سيّدكم الوغد ؟

ولم تلبث (منى) أن لحقت به ، فترك لها مهمة تهديد الرجال ، وأسرع هو إلى غرفة المكتب ، يعالج الخزانة فى هدوء وخبرة ، حتى سمع تكة خافتة ، فابتسم وهو يغمغم ساخرًا :

ـ خيّبك الله أيها اللورد الوغد .. إنها خزانة بسيطة للغاية .. يبدو أنك كنت واثقًا أن أحدًا لا يمكنه الوصول إلى هنا ، على الرغم منك .

ثم فتح الخزانة ، وابتسم ابتسامة واسعة ، حينما رأى التقارير ، فتصفّحها بسرعة ، ثم دسَّها فى طيات ثيابه ، ومدّ يده يتناول مدفعه الرشاش ..

وفجأة سمع صوت طلقات ناريَّة سريعة فى ردهة القصر ، وصوت (سونيا جراهام) تصرخ فى غلّ :

ـ اقتلوها .. اقتلوها هى وذلك الشيطان المصرى .. لقد قتلا سيّدكم اللورد .

* * *

لم يَضِعْ (أدهم) لحظة واحدة فى التفكير ، بل انتزع المدفع الرشاش ، وانطلق إلى خارج الغرفة ، ولم يكد يعبُر بابها ، حتى انهالت عليه رصاصات المدفع الرَّشَّاش ، الذى تحمله (سونيا جراهام) ، ولمح فى الوقت نفسه زميلته (منى) ، وقد انتزع رجال اللورد سلاحها ، وقيَّدوا حركتها ، ورأى فى عينيها نظرات ذعر ، وترقُّب وقلق .. ولكنه أبعد مشاعره فى تلك اللحظة تمامًا ..

كان أخطر فرْدٍ فى الردهة الواسعة هو (سونيا جراهام) ، نظرًا لخبرتها الواسعة فى فنون القتال ، وشراستها المألوفة ؛ ولذا فقد أطلق (أدهم) رصاصات مدفعه على الفور تجاه (سونيا) ، التى صرخت عندما طار مدفعها ، وأصابت رصاصة مباشرة الجلد اللَّيِّن ، ما بين سبَّابتها وإبهامها ، على حين استدار (أدهم) فى سرعة مذهلة ، وأطلق النار على الرجل الآخر ، الذى يحمل مدفع (منى) ..

أصاب الذهول رجال اللُّورد ، إلى حد شلَّ حركتهم خمس

ثوانٍ فقط ، كانت هى كل ما يحتاج إليه (أدهم) ، لتصيب رصاصاته أسلحتهم جميعًا ، ثم يقول فى سخرية :

ـــ هيَّا يا (منى) ..التقطى مدفعك ، وصوِّبيه إلى هؤلاء الرجال .

تناولت (منى) مدفعها ، وأسرعت تصوِّبه إلى الرجال ، على حين قالت (سونيا) فى ألم :

ـــ لقد سئمت هذا يا (أدهم) .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـــ عفوًا يا عزيزتى (سونيا) .. أعتذر عن انتصاراتى المتوالية عليك ، ولكن ماذا أفعل ؟.. إنها طبيعتى المغرورة .

ـــ بل سئمت إبقاءك لى على قيد الحياة ، فى كل مرة أيها الشيطان المصرى .. إنك تتعمَّد تلطيخى بالعار .

ضحك (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـــ هكذا ؟!.. يا لى من نذل !!

ثم أشار إلى باقى الرجال ، قائلًا فى صرامة :

ـــ وجوهكم إلى الحائط أيها الأوغاد .. سأحطِّم رأس أول من يستدير منكم .

أسرع الرجال يطيعون الأمر ، على حين قالت (سونيا) فى غضب :

ـــ هناك أكثر من عشرين حارسًا ، ما بين القصر والبوابة الخارجية .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـــ يؤسفنى أن أحطِّم رءوس عشرين رجلًا يا (سونيا) .

وفجأة قفزت (سونيا) كالنَّمِرَة الشرسة نحو (أدهم) ، صارخة :

ـــ لا .. لن تفلت هذه المرَّة أيضًا .

وكان رد فعل (أدهم صبرى) سريعًا وتلقائيًّا ، ومحكمًا ودقيقًا كالعادة ، فلقد استقبلها وهى فى الهواء ، بضربة مُحْكمة من حافة يده ، على مؤخرة عنقها الجميل ، هوت بعدها فاقدة الوعى ، وتمدَّد جسدها البضّ على أرض القصر ..

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ـــ بلِّغوها تحياتى حينما تستعيد وعيها يا رجال .

ثم أشار إلى (منى) إشارة صامتة أن تتبعه إلى الخارج ، وقال :

ـــ هيَّا .. أخبرونى من منكم يريد أن يتلقَّى الرصاصة الأولى .

وأسرع يَتْبَع (منى) ، على حين لم يجرؤ أىٌّ من الرجال على الالتفات ، خشية أن يفقدوا رءوسهم ..

لم يكد الاثنان يغادران القصر ،حتى قال (أدهم) ساخرًا :

ـــ ليس أمامنا غير جواد اللورد الأسود يا عزيزتى .

ودونما تردُّد ، قفز معتليًا صهوة الجواد ، ومدَّ يده إلى (منى) التى تعلَّقت بها ، وتبعته بدوْرها ، فجلست خلفه ، ولكز هو الجواد ، صائحًا فى مرح عجيب :

ـــ هيَّا أيها الأسود .. نافس جواد (امرئ القيس) .

انطلق الجواد الأسود كالشيطان ، يقوده (أدهم) بمهارة فرسان العرب الأوائل ، يشق طريقه عبر الضَّيعة ،

فى مشهد يستحق التسجيل ، عبر تاريخ البطولات العربية .. فـ (أدهم) ينحنى إلى الأمام ، ويقبض على عنان الجواد بقبضته اليسرى ، على حين يُشْهِر مدفعه الرشاش أمامه باليمنى ، وخلفه (منى) تقبض على وسطه بيمناها فى قوة ، وتُشْهِر مدفعها الرشاش فى حذر ...

أثار المشهد العجيب حرَّاس اللورد ، وانطلقت مدافعهم الرشاشة ، وانطلق مدفعا (أدهم و (منى) ، وتحوَّل المشهد فعلًا إلى قطعة من الجحيم ، وسقط حارسان .. ثلاثة .. خمسة .. عشرة .. تساقطوا كالمطر ، بسبب مهارة رجل المخابرات المصرية ، وزميلته التى صاحت :

ــ لقد اقتربنا .. يبدو برغم جنون الموقف أننا سننتصر .

صاح فى جذل ، وهو يشير بماسورة مدفعه إلى البوابة :

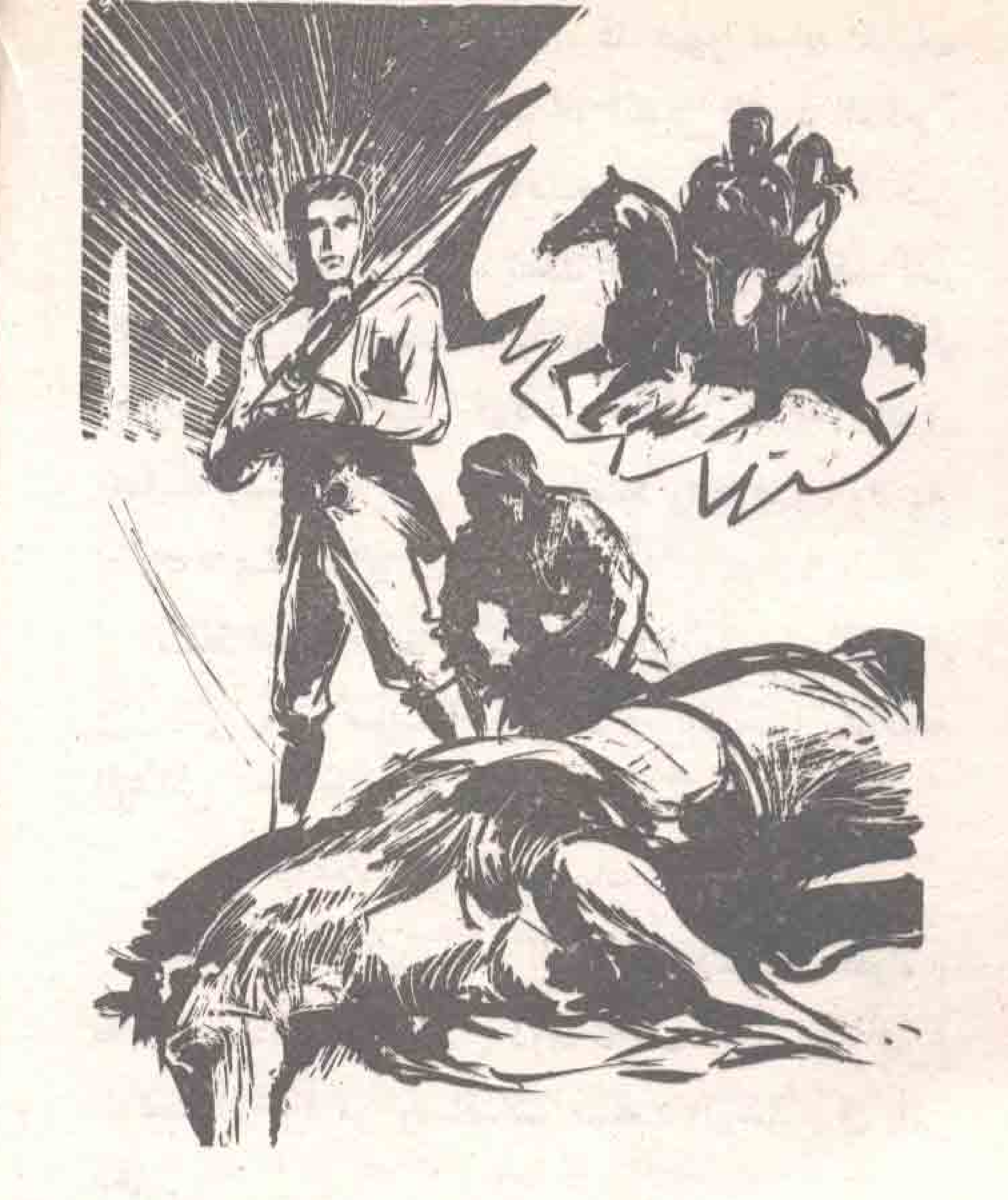
ــ فلنؤجل التفاؤل لما بعد ، فأخطر ثلاثة هم حرَّاس البوابة هؤلاء ..

كان حرَّاس البوابة الثلاثة ، قد تنبَّهوا لغرابة الموقف وخطورته ، فصوَّبوا مدافعهم نحو الفرس الأسود القادم ، وعلى ظهره رجل وفتاة ، ومدفعان رشاشان .. ولكن (أدهم) يفضل دائمًا أن يمتلك زمام المبادرة ؛ ولهذا فقد كان أول من أطلق مدفعه الرشاش ، وتبعته (منى) ، ثم الحارس الباق على قيد الحياة من الحراس الثلاثة ، الذى أصابت رصاصاته عنق الجواد الأسود واخترقتها ، وصهل الجواد صهيله الأخير ...

سقط الجواد صريعًا ، وسقط من فوق صهوته (أدهم) و (منى) ، وصوَّب الحارس الأخير إليهما مدفعه الرشاش ، صائحًا فى غيظ :

ــ إنها نهايتكما أيها الجاسوسان ..

ولكن رصاصات مدفعه الرشاش انطلقت فى الهواء ، بعد أن استدار (أدهم) دورة نصف كاملة ، وأفرغ الدفعة الأخيرة من رصاصات مدفعه الرشاش فى رأس الحارس ..



سقط الجواد صريعًا ، وسقط من فوق صهوته (أدهم) و (منى) ، وصوَّب الحارس الأخير إليهما مدفعه الرشاش ..

ألقى (أدهم) مدفعه الفارغ بعيدًا ، وتناول مدفع (منى) ، وعاونها على النهوض قائلًا :

ـــ أسرعى أيتها النقيب .. لن يلبث باقى الحرَّاس أن يلحقوا بنا .

ثم صوَّب المدفع إلى رتاج الباب المعدنى ، وأطلق الرصاصات فى سخاء حتى حطَّمه تمامًا ، فدفع الباب بقدمه ، وقال وهو يشير إلى الطريق الممتد أمامه :

ـــ بقى علينا أن نعبُر هذا الطريق ، قبل أن يصل إلينا باقى الحرَّاس .

أخذ كلاهما يعدُو بكل ما أمكنه من سرعة ، وبدا الطريق وكأنما لا نهاية له ، ووصل إلى مسامعهما صوت سيارة تتبعهما فى سرعة وإصرار ، وتنهب الأرض خلفهما نهبًا ، فسقطت (منى) على الأرض ، ورفعت ذراعها مستسلمة وقالت :

ـــ لا فائدة .. لن يمكننى الاستمرار .

جذبها (أدهم) فى قسوة ، وصاح :

— هيَّا أيتها النقيب .. لا وقت للتقاعس .

وقبل أن يتم عبارته ، ظهرت سيارة من نوع الجيب تنطلق فى أثرهما ، وتطوى الأرض طيًّا ، ولم يكد راكبوها يبصرونهما ، حتى صوَّبوا مدافعهم إليهما ، وكلهم إصرار على تمزيقهما إربًا .

* * *

يقول بعض رجال المخابرات المصرية إن (أدهم صبرى) قد عاش الخطر طويلًا ، وألِفه وأنِسَ به ، حتى لم يعد يشعر بكونه كذلك ، ولم تعد أطرافه ترتجف ، أو أعصابه تتوتَّر ، وهو يواجه موقفًا مهما بلغت خطورته .. ويبدو أن هذا صحيح إلى حدٍّ كبير ، فمشهد سيارة قوية تنطلق وعلى متنها ستة رجال محترفين ، يصوِّبون فوَّهات مدافع رشاشة سريعة الطلقات إلى رجل وفتاة ، يؤكد بما لا يقبل الشك مصرع الرجل والفتاة على الأقل بسبب الخوف .. ولكن مدفع (أدهم) تحرَّك فى سرعة ومران وشجاعة ، وانطلقت رصاصاته مُحْكَمة سديدة .. ولا ريب أن الرجال الستة

قد اعترفوا بمهارته المذهلة ، فيما أدلوا به على أبواب جهنم ، أما هو فقد حمل (منى) ، وأسرع نحو السيَّارة (الجيب) ، قائلًا فى جمود :

— هيَّا أيتها النقيب .. لقد عثرنا على وسيلة مواصلات .

وألقى جثث الرجال من السيارة ، ثم اندسَّ خلف عجلة القيادة ، وإلى جواره (منى) ، وانطلقت بهما السيارة بأقصى سرعة سمحت بها محرِّكاتها ، وصاحت (منى) ، غير مصدِّقة نجاتها :

— هذا رائع .. لقد نجونا .. لقد نجونا يا (أدهم) .

غمغم فى حزن ، وهو يعبُر الطريق الفرعى إلى الطريق العام ، فى مهارة وسرعة بالغتين .

— ولكن الثمن كان نهرًا من الدم يا (منى) .

نظرت إليه فى دهشة ، ولكنه أردف فى أسًى :

— وأنا أكره الانتصار الملوَّث بالدماء ، وأعتبره فى قرارة نفسى هزيمة .. هزيمة نكراء ..

* * *

١٠ ـ الختام ..

ضحك السفير المصرى فى لندن ، وهو يستمع إلى مكالمة عَبْر البحار ، من هاتفه الخاص فى شرفة السفارة ، وقال فى جذل :

ـ نعم يا سيادة الرئيس .. إنه يستحق ذلك ولا شك ، ويسعدنى ويشرفنى أن أزف إليه الخبر بنفسى .. شكرًا يا سيِّدى .

ثم وضع سماعة الهاتف ، والتفت إلى (أدهم) ، الذى استرخى فى مقعده ، و (منى) التى أخذت تتصفَّح جريدة لندنية ، وصاح فى مرح :

ـ مرحى يا (أدهم) !! لقد منحك السيد رئيس الجمهورية رتبة عقيد ، ووسام الشرف العسكرى .

تنهَّد (أدهم) فى عمق ، وأغلق عينيه وهو يقول فى هدوء :



ـ إنه لشرف عظيم .

ابتسمت (منى) ابتسامة سعيدة ، وهى تهتف وتؤدى التحية العسكرية فى جذل :

ـ إنك تستحقها عن جدارة يا سيادة العقيد .

قال فى هدوء :

ـ شكرًا يا (منى) .. إن تهنئتك تسعدنى .

سألته فى دهشة :

ـ لم لا تبدو سعيدًا كما هو المفروض ؟

ابتسم ابتسامة باهتة ، وقال :

ـ إننى أحاول نسيان كل ما أرقناه من دماء يا عزيزتى .

قالت فى دهشة :

ـ ولكننا اضطررنا إلى ذلك فى كثير من الأحيان .

قال وهو يهزُّ رأسه نفيًا :

ـ ليس إلى هذا الحدّ .. لقد كانت مذبحة .

سألته فى حَيْرة :

ـ (أدهم) .. ليس هذا هو السبب الحقيقى لحزنك .

نظر فى عينيها وقال :

ـ لو أردت الحقيقة ، فهو سبب آخر يا (منى) .

سألته فى اهتمام :

ـ أهو يتعلّق بوالدك ؟

ابتسم فى حزن ، وقال :

ـ إلى حد ما .. إنه يتصل بقسم أقسمته أمام والدتى .

صاح السفير فى مرح مفتعل :

ـ هل سنضيع الوقت فى الأحزان ؟ .. لقد قرَّرت إقامة حفل فى السفارة هذا المساء ، احتفالًا بانتصارك يا (أدهم) .

هزَّ (أدهم) رأسه فى بطء ، وقال :

ـ ليس الآن يا سيِّدى .. إننى أكره الثناء ، ثم إن دماء المرحوم (حسن البنَّان) لم تجف بعد .

قال السفير فى غضب :

ـ لقد حيَّرتنا يا (أدهم) .. لم نعد ندرى كيف نخفف ضيقك هذا .

ابتسم وهو يمسك كف (منى) قائلاً :

ـ ما رأيك يا عزيزتى فى نزهة داخل (لندن) دون عمل ؟

اتسعت ابتسامتها ، وتهلَّلت ملامحها ، وهى تقول :

ـ هل تمزح ؟.. إن مجرد السؤال يدهشنى ، فأنا أتمنّى ذلك منذ زمن طويل .. ثم هل تحبّ أن يتهمنى الناس بالجنون ؟

نظر إليها السفير فى دهشة ، وصاح :

ـ الجنون ؟!.. ولِمَ ؟

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وابتسمت هى .. وهى تنظر فى عينيه قائلة :

ـ بالطبع يا سيدى السفير .. مجنونة هى من ترفض نزهة مع (أدهم صبرى) .. (رجل المستحيل) .

* * *

[تمت بحمد الله]

صدر من هذه السلسلة :

رجل المستحيل